روايات عبير

حب وأصالة

www.rewity.com

Frances CAJIO

onlygirl

N° 668

روايات عبير

"أخيراً تمكنت من الاعتراف لي بأنك تحبني
عندما كدت أن أفترق عنك إلى الأبد".

كانت "إيزابيل" لا تحتمل فكرة الحياة بعيداً عن "دانييل"، ذلك الشاب الذي كانت ترغب في تكوين حياة سعيدة معه، غير أن ثراء الفتاة سرعان ما أصبح حائلاً دون تفاهمهما.

سادت فترة صمت.

كان لابد من اندلاع حريق مروّع في "شيكوتيمي" حتى تخرج من فم "دانييل" الكلمات التي طالما احتجزها.

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم		
البحرين			
U.K.	2£		

ISBN 9953-38-074-0

www.rewity.com
onlygirl

الفصل الأول

انطلقت "إيزابيل" بحمية - بعد أن عقدت شعرها - إلى السلم الرخامي، سلم المنزل المعزول - وهو أحد الأديرة- الذي كان والداها قد اشتراه، لكي يكون مسكنًا للأسرة. كان فطورها في انتظارها في الشرفة حيث لمحت "أوريلي" مربيتها، وكانت هذه الأخيرة جاثية بالقرب من شجيرة مليئة بالفواكه.

جلست "إيزابيل"، وأمسكت بالصحيفة الموضوعة بالقرب من إبريق الشاي، كانت "أوريلي" قد انتصبت واقتربت من الفتاة التي كانت قد دبَّرت رحلة وتناول الغداء خلالها على العشب.

أردفت "أوريلي":

- إن سلة النزهة معدّة. لا تتأخري.

وضعت قدحها، وتكاسلت قليلاً في مقعدها المصنوع من الخيزران، ثم نهضت، واتجهت نحو "الأوفيس"، هناك رفعت قطعة من القماش - وكانت بلون لبني - والتي تغطي السّلة وابتسمت، تناولت السلة ودفعت ضلفة الباب المطل على الحديقة الصغيرة.

حرصت "إيزابيل" على ألا تسحق الشتلات بقدميها الصغيرتين، ووصلت إلى بداية الأرض البور، المليئة بالحصى، دون أن تلتقط أنفاسها.

هناك، تسلقت الهضبة. وكم من مرة أصيبت بإلتواءات في مفاصل كعبيها، غير أن "إيزابيل" لم تضعف كعادتها أمام هذه الصعاب؛ لأنها لم تكن المرة الأولى التي تقوم فيها بمثل هذه الرحلة.

وفور وصولها إلى قمة غابة الصنوبر، أسرعت بالنزول - وهي تقفز - نحو المكان المكشوف، المحاط من أحد الجوانب بحاجز من أشجار البرو.

حينئذ جلست تحت إحدى الأشجار.

وأثناء ما كانت تخرج طعامها من سلتها، شعرت بأن هناك شخصًا يراقبها، ثم ظهر رجل في ملابس رياضية ومعه حقيبة، تفرَّس فيها هذا الأخير حتى أفزعها.

وأقبل الرجل إليها قائلاً:

"إيزابيل" ايا للمفاجأة!

إنها لا تعرف هذا الوافد، تلاحقت صور وجوه عديدة أمام عينيها دون أن تتمكن من تذكر اسمه.

خرج الرجل من الظل وتقدم مظهرًا نفسه.

"دانييل"، هذا الذي كنت تقلدينه و(تحاكينه) فيما مضى، عندما كنا في مقر الابرشية.

- آه!

- بالضبط!

- لكن ماذا تفعل هنا؟ إنك أشبه بسارق، أو خطاف"!

- كنت ابحث عن عيش الغراب.

انطلقت "إيزابيل" في الضحك، أما "دانييل" فكان خائفًا.

دعته إلى للجلوس إلى جوارها، وأن يشاركها وجبتها، ثم ملأت قدحين من عصير الفواكه، وقدمت أحدهما إلى "دانييل" فسألها:

- هل من عادتك التنزه في مثل هذه الساعات المبكرة من النهار؟

www.rewity.com
Rewity girl

– كثيراً، لكني لست معتادة مشاهدة رفاق الطفولة، وهم يبزغون من الغابات بحثًا عن عيش الغراب. هل من مبرر لذلك؟

– لقد أتممت دراسة الهندسة الزراعية، وموضوع رسالتي عن علم الفطريات، وأجري بحثًا عن عيش الغراب.

– آه ! لقد أصبحت مهندسًا، وأين تعمل حاليًا؟

كان "دانييل" قد عاد من "إفريقيا" حيث كان قد قضى خدمته في الجمعية الزراعية. قبل ذلك بعامين في "داكار" في "السنغال". عامان خياليان– هكذا قال– مخصصان في ريّ الحقول وإدخال نباتات جديدة.

– إن عامين يعتبران فترة طويلة !

– ليس بالنسبة لي. لقد لمست ما قد عاناه أولئك الناس من الضيق، وأعتبر نفسي قد قدمت لهم فائدة كبرى.

– هل لك أصدقاء هناك؟

ثم أضافت:

– وصديقات؟

حينئذ اعترف "دانييل" بأنه كانت له صداقة مع أولئك وهؤلاء.

تذكر أن والدي "إيزابيل" يعيشان في "كندا"، ودُهش لتواجدها بمفردها في "أفينيون"، سألها عن اهتماماتها.

– إن الدراسة تقلقني وتشعرني بالضيق، ولا أحب استقراري في "كندا". لذلك هأنا أقضي حياتي في هذه العزلة مع "أوريلي"، كل صديقاتي هنا. لماذا أذهب إلى بعيد ؟

كانت أسرتها قد عاشت في هذا المنزل، وهو مبنى رائع من القرن

السابع عشر، قبل أن يستقر الوالدان في "مونتريال". واليوم "إيزابيل" هي سيدة الدار الوحيدة.

نهض "دانييل"، ومدّ لها يده.

وعندما بلغت حرارة الشمس أوجها عرض عليها أن ترافقه إلى "أفينيون" كي يواصلا حديثهما، فوافقت.

كلاهما جلس في عربة "دانييل"، ووصلا إلى الطريق المحاذي لنهر الـ "رون"، وعندما وصلا إلى القرب من جسر "سان بنيويت"، ركن "دانييل" السيارة وتوجها إلى ميدان "الساعة" حيث يفد الشبان الذين يرتدون "الجينز"، من ذوي الشعور الشقر الطويلة، والذين يلتحمون ببعضهم البعض. جلسا في الشرفة المشمسة، شرفة "مونترال".

وبعد أن ذكر "إيزابيل" و"دانييل" طلبهما، التزما بالصمت لحظة، وتبادلا النظرات بعيون فضولية. وكانت "إيزابيل" مبتسمة، كان شعرها مسترسلا على كتفيها أشبه بشلال، وساقاها متشابكتان.

– هل تعتزم العودة إلى "إفريقيا"؟

– كل ما أتمناه هو أن أكون نافعا سواء هناك، أو في أي مكان آخر.

سألته "إيزابيل":

– ألم تزل عازبًا؟

– لم أجد بعد الوقت للتفكير في ذلك، وأنت ابنة الدير ألم تجدي حتى الآن فتى أحلامك ؟

مطت شفتيها وقالت:

– إن أغلب الرجال يضايقونني، لم يسبق لي أن صدقت قصص

www.rewity.com
Rewity girl

الساحرات، وأقل من ذلك فتى الأحلام.

– ربما لأنك متزمتة، أو متشددة.

وفعلاً كانت هكذا، وكانت تأمل أن تتقابل ذات يوم مع الحب.

كان "دانييل" ينظر إلى الشمس بعينين مغلقتين إلى النصف، ثم نهض واشترى من أحد الباعة المتجولين كيسا صغيراً من الفستق وأهداه إلى "إيزابيل".

وكانت تجول بنظرها حولها عندما قطع "دانييل" الصمت، وأردف:

– هل تتذكرين الأب "أرساك"؟ سيد الأسلحة؟

– نعم، لقد رأيته منذ يومين، لقد اشترى معرض صور كامل. أترغب في أن نتوجه إلى هناك؟

– لم لا؟

فما كان من "إيزابيل" و"دانييل" إلا أن تسللا بين الموائد المزدحمة بالأطعمة، ومن حولها الجموع تثرثر.

قطعا شوارع صغيرة كانت قد احتفظت بمظهرها الجنوبي، ولحقا بشارع "جوزيف فيرنيه". وكانا يضطران إلى السير الواحد خلف الآخر؛ بسبب الزحام، تجاوزا محل جوهري، ومحلات أدوات رياضية...، قبل الوصول إلى مكتب البريد – وهو مبنى تم تجديده حديثاً – وهناك لمحا معرض "أرساك".

وكان هناك أحد الرسامين المحليين يعرض لوحات صغيرة.

وعندما دفع "دانييل" الباب سُمع رنين جرس صغير أيقظ الأب "أرساك" من غفلته؛ إذ كان يستريح وقت القيلولة.

– آه! إنه أنت يا "دانييل"؟

– انظر من التي اصطحبها لك.

– هيه! ها إنت قد وجدت فتاة جميلة!، لكن ماذا تفعلين يا الصغي مع هذا الـ "دانييل"؟

علت الحمرة وجه الفتاة وأمام سخرية الرجل العجوز، لم تتمكن من إخفاء علاقتها به منذ الطفولة، أكدت أنها كانت قد ترددت على قاعة الأسلحة مع والدها. "هنري فلنيف". وكانت هذه الذكرى خالدة عندها؛ لأنها كانت تُسرُّ بالسيد "أرساك" في طفولتها.

– إذن أنت "إيزابيل"؟ ظننتك في "كيبيك" مع أسرتك. هل أنت في زيارة خاطفة في "أفينيون" مع والديك؟.

– لا! إني اسكن في منزل منعزل مع "أوريلي"؛ والدي ووالدتي مقيمان في "كندا".

– آه! "أوريلي" العجوز. يا للوفاء!

ألقى "دانييل" بنفسه على وسادة ملقاة على الأرض، وأخذ يدخن سيجارته بالقرب من المكتب، كان الأب "أرساك" يكاد يلتهم "إيزابيل" بنظراته.

همس "دانييل":

– لا تطمعي ثقتك به يا "إيزابيل".

اعترض المبارز القديم:

– ماذا تقول؟!

– اقول لـ "إيزابيل" ألا تثق بك.

– لقد سمعت.

www.rewity.com
Onlygirl

– إذن أنت تجد متعة في جعلي أكرر؟

– إني أعرف "إيزابيل" عندما كانت طفلة، حيث كان والدها يبارزني.

سالته الفتاة:

– وهل تخليت عن السلاح ؟

– اسمعيني يا "إيزابيل"، لقد قمت بالعديد من الأمور في حياتي، حتى وصلت إلى هذه السن التي يصبح فيها المرء متأملاً. لم تعد ساقاي متينتين، وفن الرسم أصبح هواية تناسبني وفقاً لوسائلي الطبيعية الحالية، لكن حدثيني عن نفسك.

– بالنسبة لي أنا لم أرغب في الذهاب إلى "كندا"؛ لذلك أودعني والداي إحدى المدارس، حيث مكثت حتى نهاية دراستي. ومن بعد، قررت الانتظار في "آنجل"؛ لاختيار الحياة التي أتمناها، ثم تقابلت هذا الصباح مع "دانييل"...

– لقد فاجأتني في إحدى الغابات.

أفحمه العجوز:

– وهذا لا يدهشني!

مر الوقت بسرعة، وكان جميعهم: السيد "أرساك"، و"إيزابيل" و"دانييل" – أثناء ذلك– يطفئون ظمأهم من شدة حرارة الطقس بالمرطبات التي كانت قد أحضرتها صاحبة مقهى قريب منهم.

– أذكر أن والدتك كانت تحمل لقب "ليدي..." أليس كذلك؟

– إنها حقيقة، لقد فقد أجدادها اللقب بعد هروبهم من الاضطهاد بصفتهم "كاثوليك"، وهذا بعد أن استقروا في "كندا".

– لقد تزوجها والدك "هنري فلنيف" بعد استقراره بالقرب من "أفينيون" في قصر "آرامونت"؟

أردف "دانييل":

– يا لها من ذاكرة.

– أعرف أسرتك أيضًا، هل تعلم ؟

– لا أشك في ذلك، في وسعنا أن نتحدث في ذلك في وقت لاحق.

– لابد أن إقامتك في المناطق الاستوائية قد منحتك مناعة ضد ضربة الشمس.

– لا أبداً، لم تعمل على تحصيني!

وغادر الشابان حينئذ المعرض، وكانت الشوارع مزدحمة، والمحلات تعج بالزبائن، كذلك الحدائق العامة كانت عامرة بالمتنزهين المتقاعدين، الذين استقروا على المقاعد.

ثم صعدا ثانية إلى شارع "الجمهورية" ومرًا أمام محل "أمريكان"، ثم توقفا عند مدخل متحف "لا بيير"، وهنا عرض "دانييل" على "إيزابيل" اطلاعها على الصور "الفوتوغرافية" التي كان قد أحضرها من "إفريقيا"، كان هذا بناء على طلب سابق لها.

ثم عرض على الفتاة أن يرافقها ثانية؛ إذ كان يجد في ذلك متعة له.

– لا، سأعود بالعربة. لدي مشتريات أرغب في إتمامها.

حينئذ أمسك "دانييل" بيد "إيزابيل"، وابتسم لها، ونظر إليها وهي تدخل الـ "تويل جاليري" ذلك المحل الكبير حيث كانت

"إيزابيل" معتادة شراء ملابسها الحريرية منه.

تخطت باب المدخل، اتجهت بخطى سريعة نحو قسم الحرائر، في هذه اللحظة تحققت من أن حقيبتها ليست معها. لقد نسيتها في سيارة "دانييل"، وعند خروجها تواجدت وجها لوجه مع صديقة تدخل إلى نفس المحل.

- "ليلي"!

- "إيزابيل"

- اسمعي، أفي وسعك مرافقتي إلى "آنجل"؟

- بالتاكيد، غير أنه عليك اصطحابي أولاً إلى شارع "مارشان"؛ لكي تساعديني على اختيار قميص من عند "ليدي". اتفقنا؟ ثم، بعد ذلك أعيدك إلى مقرك.

وبعد ذلك- بنصف ساعة - انطلقت الفتاتان في سيارة "ليلي الرينو"، على جسر "إدوارد- لارنيه".

وعندما وصلت "إيزابيل" إلى مسكنها، شكرت صديقتها على اصطحابها إياها. كانت "أوريلي" تراقب المشهد عن بعد، وفور انطلاق السيارة، اقتربت. وكان القلق باديًا في نظرتها.

- ما الذي حدث لك؟

- لا شيء يا "أوريلي"، لقد نسيت حقيبتي في سيارة "دانييل". هل تتذكرينه، كان يأتي - أحيانا فيما مضى- إلى منزلنا بعد الخروج من المدرسة. والآن يجب أن أستحم لأني غارقة في العرق.

ضربت "أوريلي" على جبينها، وضعت يدها في بلوزتها وسحبت منها ظرفًا مغطى بالاختام، ناولته لـ "إيزابيل" التي أسرعت بفتحه

وكانت جالسة على مقعد من الحجر، تحت إحدى أشجار الصفصاف.

كان الخطاب آتيا من "كيبيك":

"صغيرتنا" إيزابيل": اتعشم أن تكوني على ما يرام، وأن تكون "أوريلي" قائمة بالعناية بك جيدًا، وأنه لا ينقصك شيء.

والدتك وأنا نرجو أن تغفري لنا تقصيرنا في الكتابة إليك قبل الآن، لأننا كنا نبحث لك عن عمل بالقرب منا، وبالتالي استغرق ذلك وقتا طويلاً، سوف تجدينه مريحًا. والآن لك اتخاذ القرار. هذا ما قد تم، لقد قمت بشراء وكالة سياحية وفي إمكانك إدارتها، [illegible] بالقرب منا. و"توبي" المحامي الاستشاري الخاص بي سوف يدربك على هذا العمل.

لا تسرعي في الإجابة، امنحي نفسك فرصة للتفكير.

[illegible]

[illegible]

"توبي"؟ ترى من هو هذا الشخص الذي لم يسبق لهما ذكر اسمه أمامها، من قبل؟ وقبل أن تعرف السبب في ذلك، شعرت "إيزابيل" بعدم الثقة بهذا الشخص المجهول.

*****

الفصل الثاني

كانت "إيزابيل" قد وضعت "البرنس" وتمددت على الأريكة، وهي تعيد قراءة خطاب والدها، وكانت "أوريلي" قد أحضرت لها عصير برتقال وعادت للاهتمام بأعمال المطبخ، ومراقبة ما في الأفران.

وإذا برنين جرس "التليفون" يقطع السكون الذي كان يخيم على المنزل. رفعت "إيزابيل" السماعة.

– آه! أنا "دانييل". لقد غفلت عن حقيبتك في السيارة، ولما وجدت أني لن أتوجه إلى "مارسيليا" مساء اليوم، فكرت في أنه بإمكاني إعادتها إليك.

– إذن أنا في انتظارك لتناول القهوة.

أعادت "إيزابيل" سماعة التليفون، ووضعت الخطاب في درجها.

وكانت ساهمة:

– "أوريلي"! "دانييل" سوف يتناول القهوة في المنزل بعد العشاء.

وأثناء الوجبة كانت تكتفي بالقليل من الطعام؛ لأنها كانت مرهفة السمع إلى كل صوت آت من الحديقة. وقبل الساعة الحادية والعشرين بلحظات، سمعت سيارة "دانييل" تتوقف بالقرب من المدخل. انتصبت في الحال، مرّرت يدها في شعرها، وعضت على شفتيها. وهنا بدا "دانييل".

– لقد أحضرت لك صور "إفريقيا"، وبعض الأفلام وحقيبتك!.

فتح "دانييل" حقيبة صغيرة مليئة بالصور، مصفوفة حسب تاريخها الزمني، منذ وصوله إلى "السنغال" حتى رحيله، ومصفوفة

كذلك حسب الموضوعات: حيوانات، نباتات، بساتين.

سألته "إيزابيل":

– يبدو أنك ضمن فريق. أليس كذلك؟

– نعم، كنا نحو نصف دستة، وأشار إلى إحدى الصور التي تضم كل الفرقة.

– هذا الشخص البدين هو "بيير" وهو من سكان "سافوي". إنه أقدنا ثقافة، وهذا "موريس" إخصائي الري، كان يقضي حياته في "داكار" مع أسرته، إنه عميدنا، وكان يهتم بالعلاقات مع السلطات "السنغالية".

قاطعته "إيزابيل":

– وهذا، هذه الفتاة؟

– آه! إنها "ماريس"

في جزء من الثانية، بدا الارتباك على "دانييل"؛ لذلك ألحت "إيزابيل":

– اعترف بأن جمالها أخاذ.

قال:

– إنها مساعدتنا، فتاة متطوعة تتمتع بكفاءة نادرة. كانت دائمًا تعرف ما يحتاج إليه هذا الشعب، إنها في الحقيقة ليست "سنغالية" الأصل.

– وهل كانت السيدة الوحيدة ضمن الفريق؟

– الوحيدة، المؤهلة.

– هل كنتم مرتبطين؟

وإذا بوصول "أوريلي" ومعها الصينية المحملة بالقهوة والبسكويت، ويمنع "دانييل" من الرد عليها. وقبل أن تنصرف الخادمة، سألت الفتاة إذا كانت في حاجة إلى أي شيء آخر.

– لا، شكراً، طاب مساؤك يا "أوريلي".

وعادت "إيزابيل" إلى أسئلتها:

– "بيير" و"موريس"، و"ماريس" ليسوا سوى ثلاثة ؟!

– وها هم الباقون "فانسان كوبير" أولاً. هذا الشخص لم يحتمل مناخ هذه المنطقة وعاد إلى "باريس"، هنا "كلود" و"تيري" وهما لا يفترقان أبداً حُيث كانا يعيشان في نفس المسكن، وأعتقد أنهما سوف يمكثان هناك؛ حيث إن "السنغال" تعتبر حياتهما.

كررت "إيزابيل" بنبرة تكاد أن تظهر شيئًا من المرارة :

– "ماريس" جميلة جدًّا، لاشك في أن العمل ممتع مع أشخاص بمثل هذه المودة، وفتيات بمثل هذا الجمال!

أيد "دانييل" رأيها، وواصل إخراج تذكارات من حقيبته الصغيرة. وكانت "إيزابيل" تصغي إليه وهو يتحدث عن الشواطئ ذات الرمال الناعمة، وأمواج البحر المرتفعة التي تهدأ من حين إلى آخر، وحياة الصياد، والمستحم المتهور، والأسواق التي تعرض كمية من السلع المتعددة الألوان.

وإن كان كل ذلك قد حاز إعجاب "إيزابيل" إلا أنها كانت لا تكف عن التفكير في هذه الزميلة، ذات القوام الممشوق. حيث كان هذا الجمال المجلوب ذا تأثير سحري فيها، وبدا لها صوت "دانييل" بعيداً.

سألها "دانييل" عندما لاحظ أنها لم تعد تلتفت إلى كلماته:

– ماذا بك؟ هل أنت متعبة؟

– لا، كنت أفكر فيما قد تكون عليه حياتك خلال عامين، في "إفريقيا" مع "بيير"، و"موريس"، و"تيري"، و"كوبير"... و"مارسيليا".

فهض وقد بدا عليه الضيق.

– سأتركك. وحسب مشيئتك، في إمكاننا قضاء عطلة نهاية الأسبوع القادم معاً، كي نتوجه إلى "مارسيليا"؟

– لقد استلمت خطابًا من "كيبيك" في فترة ما بعد الظهر. إن والدي يقترحان إقامتي في "مونتريال"، كان هذا شيئاً غير متوقع، ولم أتخذ قراراً حتى الآن. إن مبادرة والدي الفجائية هذه تربكني.

سألها "دانييل" في أسلوب جاف إلى حد ما :

– أتعتقدين أني أستطيع الحصول على عمل هناك ؟

– لا وجود للفقراء في "كندا" بنسبة كبيرة...

– من الممكن أن يكرس المرء ذاته للثراء أيضاً ! كما أني أحب الأسفار.

وساد السكون الصالون، في اللحظة التي بدأ فيها صرير صراصير الحقول ، كلاهما بدا متأملاً.

– إذن ! في عطلة نهاية الأسبوع؟

أجابت "إيزابيل" :

– اترك لي رقم "التليفون"، وسأتصل بك فيه.

كتب "دانييل" على قصاصة ورق مجموعة أرقام، سلم الصور

الخاصة به إلى "إيزابيل"، ثم ارتدى سترته. رافقته إلى السيارة، اقشعرت من برودة الجو الخارجي.

وتبعت - سيراً على الأقدام في الممر الصغير - سيارة "دانييل" التي كانت تبتعد. توقفت، دارت حول السور، ثم عادت وقد امتلأت رئتاها بنسمات الربيع.

جلست "إيزابيل" متقوقعة في مقعد ذي مساند، وقد غطت كتفيها بشال، وقضت باقي الفترة المسائية في تأمل صور "دانييل"! وكان مصباح أحمر يمنح الغرفة ضوءاً خافتا. ونحو منتصف الليل، نزلت "أوريلي" إلى الصالون، أمرتها بالعودة والدخول إلى مخدعها. وكانت "إيزابيل" لا تزال تداعب الصور الفوتوغرافية بأناملها، بعض الصور كانت تسترعي انتباهها، تلك الصورة التي يتبادل فيها "دانييل" الابتسامات مع "ماريس".

أخيراً أطفأت "إيزابيل" المصباح واتجهت نحو السلم، وبعد دخولها إلى فراشها راحت في سبات عميق.

*****

تعرض وادي الـ "رون" لرياح شديدة والمنزل المنعزل،النائم، أحيط بعواصف عنيفة.

وعند الظهيرة، بدت "إيزابيل" في الدهليز، بوجهها الوردي والقدمين المختفيتين في "الشبشب". وكان اليوم قد بدا بارداً.

نصحت "أوريلي" "إيزابيل" بأن تتناول غداءها في الداخل؛ لأنها ستقدم لها وجبتها في الصالون.

كان "دانييل" قد اتصل هاتفيًا طالبًا أن يُطلب في الرقم الذي تركه. طلبت الرقم وبعد لحظات انتظار قليلة، كان صديقها معها على الخط.

قالت:

- هل طلبتني صباح اليوم؟ لقد تأخرت هذا الصباح؛ لأني سهرت ليلة أمس كاملة.

قاطعها "دانييل":

- هل تودين افتتاح معرض "بيكاسو" في "باليه دي باب" (قصر [illegible])، أمن الممكن أن نتوجه إليه معًا في فترة ما بعد الظهر؟

أعجبت "إيزابيل" بهذه الفكرة؛ لما لها من تعلق قوي بالفن وخاصة فن الرسم، اقترحت عليه أن يمر حوالي الساعة الخامسة عشرة [illegible].

- [illegible]! سأمر أولاً على المعرض؛ لاصطحاب الآب "أرساك"؛ لأنه [illegible] كمرشد.

تألقت "إيزابيل" إذا كان قد فكر في دعوة أشخاص آخرين، فسمعته يهتم غير الخط مما دفعها إلى الابتسام، ثم أخفضت السماعة.

كانت الرياح قد اشتدت، فنزلت "إيزابيل"، وجلست أمام المائدة والتهمت الوجبة الباردة التي كانت قد أعدت لها.

- "أوريلي"، إذا سافرت إلى "كندا" هل تأتين معي؟ هكذا تألقت.

- أنا لست موهوبة في اللغات الأجنبية، لكن ربما يكون الموقف [illegible] سهلاً.

www.rewity.com

– على أية حال، لم أقرر شيئًا بعد !

وكانت "إيزابيل" تراقب بدقة، في شيء من الحنان منظر الحجرة : الستائر الحمراء، والأخشاب القديمة، والأثاث المتواضع، والمقاعد المصنوعة من الجلد.

كم أنها تشعر بالارتياح في هذا المكان، غير أن السفر كان يغريها، وعلى الرغم من أنها عزمت على ألا تتخلى عن "أوريلي" العجوز، "أوريلي" التي خدمتها، واعتنت بها - بل دللتها.

إن هذه الرياح تزعجني. ويجب اتخاذ الحذر في هذا الوقت من الزمن. أعطني مرطبًا لكي أنتعش.

قدمت "إيزابيل" نعناعاً أبيض إلى "دانييل"، تحدثا عن الصور وعن الاهتمام الذي أبدته بها، طالما جعلتها يقظة لفترة طويلة من الليل.

ثم ارتدت "إيزابيل" غطاء رأس أسود من الصوف.

ضرب "دانييل" جبينه :

– آه ! لقد نسيت. لقد وصلت "ماريس" إلى "فرنسا" !

وسوف تنزل إلى "أفينيون" لمقابلتي. وإذا شئت، من الممكن أن نتقابل معاً للعشاء في إحدى الأمسيات.

– ربما.

هكذا قالت "إيزابيل"، وكانت تبدو غير راضية عن هذا اللقاء.

نهضا، ودخلا إلى السيارة، ثم اجتازا الكوبري ببطء. إذ كانت الرياح تلاطمهما، وكانت مياه نهر الـ "رون" مضطربة. وكان جمهور عجيب يتزاحم أمام درجات القصر. إنه معرض لـ "بيكاسو" ! والسيد "ارساك" – واضعًا قبعته على رأسه – كان يلوح بعصاه ذات المقبض

الذهبي :

– من هنا.

هكذا صاح الرجل وكان يعاني عدم اتزان في خطواته.

– لقد وصلنا! تماسك لئلا يكسر عنقك، وبذلك لا نحصل على

كان الجميع يدخلون إلى قصر "البابوات" القديم، من متذوقي الفن إلى الفضوليين متجاهلين الهرب من العواصف التي تثير دوامات من الغبار في الفناء الأوسط، كان الجمهور يفرك جفونه، وليس من كان قادرًا على التنفس.

أغلقت الأبواب الثقيلة خلف "دانييل" الذي كان يتبع عن بعد الآنسة "إيزابيل".

وعلى بعد عدة خطوات كان أحد الحراس يتحدث باسلوب متعاظم.

صاح الممارز القديم :

– يا له من هذر!

وكان متعلقًا بذراع "إيزابيل".

أجابه "دانييل" :

– يا للفضوليين، والزحام!

الرعشة "إيزابيل" :

– إذا كنت متعبًا يا سيد "ارساك"، ففي إمكاننا أن نوقف زيارتنا هنا!

– لا يا ابنتي،

كان العجوز يصعد درجات السلم لاهثاً، في بطء، كانت هذه الدرجات قد تآكلت بفعل الزمن، من تأثير صعود الآلاف على مر القرون.

نزل "دانييل" إلى الفناء، كان ينظر إلى النجارين المنحنين على منضدة العمل، مستنداً إلى الحائط والسيجارة بين أصابعه.

أما "إيزابيل" والسيد "أرساك" فقد لحقا به بعد قليل.

قالت:

- من الحكمة يا سيد "أرساك" أن نرافقك حتى معرضك.

فما كان من الرجل المسن إلا أن وافق؛ لأنه كان منهكًا، وإن كانت المسافة بين القصر والمعرض قصيرة. أخذوا سيارة أجرة، ثم بعد أن أوصيا الأب "أرساك" بأن يستريح، توجه "دانييل" و"إيزابيل" لتناول بعض الفطائر. وكان "دانييل" يبدو مشغولاً.

وأخيراً قرر أن يسأل:

- لماذا عندما عرضت عليك مقابلة "ماريس"، جاءت إجابتك رمادية؟

- هل ستصل قريباً؟

- لقد أخبرتك بذلك! هل تخشين مقابلتها؟

- لا أرغب في إزعاجكما.

هزَّ "دانييل" كتفيه قائلاً:

- نعم، لقد عملت معها، لكن لم تكن بيننا أي علاقة.

كانت "إيزابيل" لا تصدق أن "دانييل" قد يظل غير مبالٍ بسحر هذه الفتاة الرائعة.

ولما لم تحصل على أي إجابة عن سؤالها، سألته عن مشاريعه،

فأجابها في فتور:

- لا أعرف عنها شيئًا حتى الآن. إني أحب العمل الجماعي.

لقد عُرِضَ عليَّ منصب معيد في كلية الزراعة، لكن بما أني رجل متجول...

قالت "إيزابيل" فجأة:

- وهل تعتزم تكوين أسرة؟

- قد تعتبر مخاطرة عندما يختار الشخص مهنة تتطلب التجول.

- ألا تعتقد أنك لن تتزوج من أي فتاة؟

- لقد عملت على نطقها بهذه الأسئلة، غير أنها كانت تأتي إلى شفتيها على غير علم منها.

- في الوضع المالي الحالي، لا يمكنني التفكير في هذا الأمر، لكن بالنسبة لك يا "إيزابيل"، ألا ترين أنه ينبغي لك أن تعثري على زوج؟ إنك جميلة، وذكية.

- إن ما أسعى إليه هو الحب وليس الزوج!

- وهل الحب صعب المنال إلى هذا الحد؟

فصمتت "إيزابيل" والتزمت الصمت.

*****

الفصل الثالث

كانا قد قضيا يومهما في التجول، وسرد ذكريات الطفولة، بينما كانت الشمس موشكة على الغروب، حينئذ اقترح "دانييل" على صديقته تناول العشاء معًا، وأن ينهيا السهرة عند "جابرييل" وهو "ملهى ليلي" ينظم في الصيف- عدا المهرجانات - عروضاً مختلفة. وفي تلك السهرة، قام بالعزف، على الجيتار عازف ذو شعر كستنائي، وبذلته كانت من القطيفة اللامعة.

وعلى الرغم من صوت المطرب المزعج، كانت السهرة ممتعة. وخلال هذه الفترة حكت "إيزابيل" عن مرورها على "ليبجيون دونير" في الحي "الباريسي"، واعترفت لـ "دانييل" بانها كانت - عوضاً عن الذهاب مع زملائها إلى

حمام السباحة، أو إلى نادي الفروسية تجد متعة في ممارسة لعبة الكرة الحديدية مع البستاني!وعندما طلبت من "دانييل" أن يرافقها، تظاهر هذا الأخير بانه لم يسمع.

ألحّت :

- أرجوك، إني متعبة.

- أشعر بان رفقتي تضايقك، وأنك مللت من رؤيتي!

عجزت "إيزابيل" عن الرد ؛ إذ كان "دانييل" يبدو مقتنعاً بما يؤكده، ثم نهضا وعادا إلى السيارة.

عندما توجهت للجلوس، أمسك بذراعها وهمس:

- قد تكون سخافة، أو شذوذًا، أو غباء. لكن أرغب في تقبيلك.

اعتبرت "إيزابيل" كلماته هذه في بدء الأمر مزاحًا، لكن عندما حاول "دانييل" ضمها إليه، تراجعت خطوة، في ضيق واضطراب...

- لا ينطق بهذه السخافات.

- المعذرة، إنك جميلة جدًا، رقيقة جدًا. لقد شعرت بمزيد من الجاذبية ليست لي عادة التحدث إلى الفتيات، لكنك تختلفين كثيراً عن الأخريات.

الزما الصمت لعدة ثوان.

أخيرًا، سأل "دانييل" مبتسمًا:

- إلى سنتوجه إلى هناك؟

واصلا السيارة والزما الصمت حتى وصلا إلى المنزل المنعزل.

وكانت "أوريلي" كعادتها ساهرة حتى عودة سيدتها الصغيرة.

وعندما علمت انها دخلت، أطفأت مصباحها.

جلست "إيزابيل" أمام "البيانو" الـ "بلييل" الذي قد اشترته لها والدتها قبل رحيلها إلى "كندا". وكانت "إيزابيل" تستمتع بالعزف عليه، غير انها بدت في هذا المساء غير مرنة.

وعلى الرغم من جرأة "دانييل" لم تتحامل "إيزابيل" عليه، وكان هذا هو سر ما يحزنها. لماذا؟

في النهاية قررت الذهاب للنوم.

كان الضباب يغطي سماء مطار "مونتريال" الدولي. وعلى الرغم من ذلك كان الإقلاع والهبوط يتمان بوضوح، كانت المهابط مليئة بالطائرات، وبالرجال ذوي الملابس الفوسفورية.

وفي الداخل، كان "توبي نورتون" و"هنري فلنيف". يشقان

هما إلى الجمرك، عندما أردف "هنري فلنيف"، والد "إيزابيل"
لا تتأخر في "باريس" يا "توبي". انزل في الحال إلى "أفينيون"
ح الموقف لـ "إيزابيل"، وحاول أن تقنعها، ومن جانبي سوف
إليها برقية.
أظن أنها ستقبل بسهولة.
نها مهمتك يا "توبي"، لا ينبغي أن ترفض.
ان السيد "فلنيف" لا يخفي قلقه:
لف معك اقرأه؛ وبذلك ستعرف كل شيء عن الموضوع.
أنه عدل عن رأيه:
كن، حذار، "إيزابيل" فتاة حساسة. لا تدفع بها بشدة، اشرح
ل شيء في هدوء!
به "توبي":
عدك بإعادة ابنتك.
سافح الرجلان.
ذلك قدم "توبي نورتون" جواز سفره إلى "الكونترول"، ثم
لى "الترانزيت".
ن شعره قصيراً، يضع نظارة ذات إطار ذهبي، وكان يصنع
ه لدى ترزي إنجليزي، ولم يحتمل اختفاء جريدة الـ "تايمز"
وقفت عن الصدور. وفي رشاقة بريطانية، كان قد أتم دراسته
توالي في "إيستون" بالقرب من "لندن" وفي "هارفارد" في
ات المتحدة". وبصفته محاميا لامعا، كان قد ساهم في نجاح
ع "هنري فلنيف".

استقل بدرابزين السلم، وصعد إلى الـ "بوينج" التابعة لشركة "T.W.A"، سيصل إلى "باريس" بعد ثماني ساعات تقريباً.

*****

كانت "إيزابيل" قد دعت "ليلي" إلى منزلها، صديقها "باتريس"، و"دانييل" كانا قد وصلا تقريباً معًا في فترة ما بعد الظهر.

بعد تناول الشاي الفاخر، قاموا بلعب الورق.

في لعبة الـ "بريدج" (وهي رباعية) كانت "إيزابيل" و"دانييل" يلعبان أمام "ليلي" و"باتريس".

أردف "دانييل" بلهجة الإثارة:

- لقد ألفت!

اعترضت "ليلي":

- سامي، وسنسبقون هنا. إنك يا "إيزابيل" تغلبين. وهكذا كانوا يلعبون في مرح، كانت "ليلي" لا تكف عن الضحك وعن التعليق بصوت عال... وكانت همساتها تثير غضب "دانييل" بوضوح.

نهضت "إيزابيل"؛ لكي تبدل الأسطوانة، بحثت في عمود الأسطوانات وأخرجت "ألبوم" الجاز.

وعندما عادت إلى مكانها، سألت "ليلي" "إيزابيل":

لقد أخبرنا "دانييل" بأنه ينبغي أن ترحلي إلى "كندا".

- إنها حقيقة.

- متى؟ وكم يومًا؟

قالت "إيزابيل":

– هذا إن لم يحتجزني أمر ما هنا.

وكان "دانييل" يستمع إليها، وكأنه غفل عما صدر منه في الليلة السابقة.

كانت "ليلي" لا تكف عن القهقهة، بينما "باتريس" كان يجفف عرقه، ويلطف حلقه بعصير الفواكه المثلجة.

أردفت "ليلي":

– هل تعلمين أن "باتريس" يجمع الفراشات؟

– لكل عادته، "دانييل" يجمع فطر عيش الغراب.

– أنت لك الأشياء التافهة، و"إيزابيل" لها البيانو! كان هذا رد "باتريس"

وأضافت "إيزابيل":

– إن "دانييل" يعشق كذلك المرفوضين.

قاطعها:

– أحب كذلك– عند لعب الورق– أن يتابع شركائي اللعب جيداً.

وكان ما بدا من "دانييل" أقنعهم جميعاً، إنه من الأفضل إيقاف اللعب. أتت إلى ذهن "إيزابيل" فكرة الذهاب للاستحمام، فعملت على حث زملائها على مرافقتها. و"باتريس" الذي كانت حرارة الجو قد أسكتته، نطق بالموافقة.

حينئذ طلبت "ليلي" لباس بحر، غادروا المائدة، بينما أخذ "دانييل" – وقد تعتم وجهه – يجمع الورق.

أخرجت "ليلي" كل ما لدى "إيزابيل" من ثياب البحر، لكي تختار

[illegible] لأنها كانت فارعة القوام، وكذلك حسب ذوقها. ولما كان "دانييل" قد أبدى غضبه لأطفته "إيزابيل" مقتربة منه وملحة:

[illegible] العال.

وكان "باتريس" و"ليلي" قد سبقاهما إلى السيارة واستقرا، كذلك "إيزابيل" و"دانييل" كانا قد اتخذا لهما مكانين في الخلف. وأثناء [illegible] إلى جسر "دي جار" تلامست ركبتاهما، وعلى ما يبدو أنهما [illegible] ذلك. اقتربا الواحد من الآخر، لكن دون أن يتبادلا [illegible]

[illegible] وصلوا على مقربة من الجسر، عملوا على ركن السيارة [illegible] إلى الشاطئ. بدأ "دانييل" بالغطس، ومن بعده "باتريس".

[illegible] "إيزابيل" فقد اكتفيتا بالسير على رمال الشاطئ.

[illegible] "ليلي":

[illegible] إنها باردة؟

[illegible] "دانييل" وقاد "إيزابيل" على الشاطئ، وهناك [illegible] كنت أريد أن أخبرك بالآتي: "إن لقاءنا للمرة الأولى لم [illegible] فلقد ترقبتك، كنت أرغب في مشاهدتك مرة أخرى، [illegible] على علم بأنك تترددين على هذا المكان، انتظرتك فيه".

[illegible] وجهها، لكي تخفي سرورها.

[illegible] والآن، وقد أرضيت فضولك، ألم يخب ظنك؟

[illegible] عرض "دانييل" على "إيزابيل" أن يدلك لها بشرتها [illegible] لأنه كان قد تعلم ذلك في "السنغال"، للحماية من لفحة [illegible] وافقت، واستسلمت لملاطفة يدي الشاب.

www.rewity.com

– كفى، إنك تزغزغني .

ذهب، وغسل يديه وعاد لكي يجلس بجوار "إيزابيل" .

وهكذا طال بقاؤهما معًا ـ كان النهار قد بدأ يميل، وكان لابد للآخرين من العودة إلى "أفينيون" . وأعادوا "إيزابيل" إلى مسكنها .

أقبلت "أوريلي" وقد بدت فزعة ؛ عند سماعها صوت محرك السيارة .

– برقية يا آنسة !

– هيا ! اهدئي !

فتحتها "إيزابيل" ، كان والدها يخبرها بوصول "توبي نورتون" مكثت "إيزابيل" في الحديقة؛ لأنها كانت تعشق الغسق .

وكانت السحالي تجري على جدران المنزل، وأغصان الأشجار، وكانت تصدر أنينًا عند اختفاء الشمس خلف غابة الصنوبر، حيث كانت قد التقت بـ "دانييل" قبل ذلك بأيام، كان حينئذ قد تصرف كصبي وكانت تسر لذلك . كان في إمكانه التوجه إلى المنزل، لكنه كان قد فضل مفاجأتها !

عادت "إيزابيل" إلى المنزل، وبدأت في تحرير خطاب إلى والديها .

وكانت الفتاة قد دهشت لسرعة إرسالهما "توبي نورتون" إلى "باريس" . ولماذا كان لزاماً عليها أن تقابله؟

فردت "أوريلي" الستائر، وأطعمت القطط التي تحب التمطي على وسائد الشرفة؛ وكان هذا هو سبب الخلاف الوحيد بين "إيزابيل" ومديرة المنزل .

كان المنزل قد استعاد صفاءه، شعرت "إيزابيل" برائحة "كيك"

إذن "أوريلي" في مطبخها تعد وجبة العشاء .

"إيزابيل" عندما علمت أنها ستتناول شيئًا لذيذًا، تذ

"إيزابيل" وهو يدلكها بالكريم . . .

إذا [illegible] جرس "التليفون" ينتزعها من أفكارها .

[illegible] الصغير . أنا "توبي نورتون" . لابد أن يكون والدك

[illegible] وصولي إلى "باريس" . لقد طلب مني أن أنزل بعد ذلك

[illegible] ويجب أن نلتقي معًا ؛ من أجل مهمة حساسة .

[illegible] قد . وسوف يسعدني التعرف إليك . ألحت "إيزابيل"

[illegible] هذه الزيارة المستعجلة .

[illegible] غير أنه كان يكرر أن والدها هو المتمسك بهذا اللقاء

[illegible] الحالة . ساعد لك حجرة، لكن وأسفاه، ليس

[illegible] لكني سأطلب من أحد أصدقائي أن يتوجه إلى ا

[illegible] .

[illegible] لك شاكرًا . القطار سيصل في الساعة الثانية والع

[illegible] وعشرين دقيقة .

[illegible] "إيزابيل" على مفكرتها ساعة وصول "توبي نور

[illegible] نداء "أوريلي" .

غير أن وحدتها أمام المائدة كانت غير محتملة، ولو كان

[illegible] "دانييل" بابتسامته المشرقة لاختلف الوضع تماماً . تُر

[illegible] ؟ هل يحبها ؟ وكانت "إيزابيل" تجد أن "توبي نو

[illegible] الوقت المناسب لكي يأتي ويحدثها في أمور جادة .

*****

www.rewity.com

الفصل الرابع

كان مسكن "إيزابيل" يشهد حركة غير معتادة، "أوريلي" كانت تطلع على كتاب التدبير المنزلي وتقوم بتقشير فصوص الثوم.

وفي تعجلها لم تجد "إيزابيل" الوقت الكافي لتناول فطورها. كانت قد ارتدت "جونلة بليسيه" و"تي شيرت"، وكانت قد صففت شعرها على شكل "شينيون".

وكانت أيضًا - عند الفجر - قد أيقظت "دانييل" - بدون تفاصيل - توسلت إليه بأن يهبها يومه.

وصل حوالي الساعة الحادية عشرة، فكانت عيناه مازالتا مثقلتين بالنعاس، فأحاطته علمًا بالأمر.

مستشار والدي الخاص "توبي نورتون" سوف يصل هذا المساء إلى "أفينيون". وينبغي أن تذهب للقائه في المحطة، وأن تصطحبه إلى هنا، سنتناول العشاء معًا.

- اطمئن، بعد رحلة طويلة، لابد أنه سيرغب في أن يستريح بسرعة.

انتفض "دانييل" عند سماع الكلمات:

- ماذا ! هل سيرقد في المنزل المنعزل؟

- إنك شخص عجيب ! إننا لسنا في عهد أجدادنا ! ولا جداتنا ! لم يعد هذا يثير الشك.

سألها "دانييل":

- هل تجدينني لعبة قديمة ؟

رأى أن "إيزابيل" لا تهتم، واصل كلامه:

أعلم أن هذا التصرف يبدو غبيًا، لكن أن أعرف أن شخصًا [illegible] سوف يقضي ليلته هنا، بالقرب منك، أغار لذلك... لا [illegible] في أنه سيحاول الاقتراب منك.

[illegible] واستطردت:

[illegible] رجل كثير المهام، وأرى أنه كان لا داعي لدعوته، هذا [illegible] بالنسبة لوالدي، لم يكن في وسعي التصرف [illegible]

[illegible] يفهم "إيزابيل" جيداً، لكنه كان لا يستطيع أن يبعد [illegible] ما هو أسوأ، لمست "إيزابيل ذلك، أمسكت بيده وشدت [illegible] ساد السكون بينهما شعرت بالحرج، وغمغمت:

[illegible] أن أنظف هذا المكتب ؛ لابد أن "نورتون" سيحتاج إليه.

[illegible] من جيبها قطعة من القماش، ودخلت إلى الحجرة المليئة [illegible]. وتوجه "دانييل" إلى المطبخ، لتناول قدح من القهوة وعوضًا [illegible] يلحق به "إيزابيل" احتذى حذاءً رياضيًا وتوجه إلى الحديقة.

[illegible] "إيزابيل" قد بدأت في تنظيف المصباح، ومن النافذة لمحت "دانييل" جالسًا القرفصاء، وهو نفس الوضع الذي رأته عليه يوم أن [illegible]. تفرست فيه حائرة. هل حقًا أنها تعجبه؟

[illegible] في ترتيب المكتب. وفجأة ساورها إحساس مسبق بعدم [illegible] في وصول الموفد من قبل والدها، ولكي تطرده عن ذهنها [illegible] تدلدن.

وفي الظهر تناولا وجبة بسيطة، ولم يتبادلا سوى بعض المقتطفات

www.rewity.com

من الجمل والموضوعات.

وإذا بسحابة تغطي الشمس، أغرقت المنزل في الظلام.

أعدّت "أوريلي" حجرة "توبي نورتون" في تذمر. لاشك في ان هذا الرجل سوف يتسبب في عدم استقرارها، كانت قد أخطرت "إيزابيل" بانه على هذا الشخص الغريب أن يجد راحته.

وكان من رأيها- مثل "دانييل"- أن زيارة "توبي نورتون" تعني ان السيد "فلنيف" يرغب في أن تلحق به في "كندا"، و"إيزابيل" كانت لا تستطيع أن ترفض.

بعد قليل ساد المنزل حزن عميق. "إيزابيل" و"دانييل" كانا في انتظار مرور الوقت، وحوالي الساعة الثانية والعشرين رحلا إلى "أفينيون".

أعلن وصول القطار الذي يقل "توبي نورتون".

خلف مجموعة من الشبان العسكريين الذين قفزوا إلى الرصيف قبل وقوف القطار، بدا رجل يرتدي معطفًا من "التويد"، وعلى رأسه قبعة مربعات. أيقنت "إيزابيل" أنه "الكندي".

دفعت الفتاة "دانييل" بمرفقها. على الرغم من أنه لم يسبق لها رؤية "توبي نورتون"، إلا أنها تعرفته في الحال. وكذلك الرجل تقدم نحوها، وسألها:

- الآنسة "فلنيف"؟ أنا "توبي نورتون".

قالت:

- مساء الخير، أقدم لك أحد أصدقائي: "دانييل".

ثم ألقت نظرة على أمتعة الوافد وأبدت ملاحظتها.

[illegible] ما لك؟

[illegible] إقامتي ستكون قصيرة؛ لم أحضر سوى اللازم.

[illegible] الأثناء لم ينطق "دانييل" بكلمة. وأشارت "إيزابيل" لـ [illegible] إلى الطريق الذي ينبغي أن يتخذه.

[illegible] بلباقة.

[illegible] "إيزابيل" في مؤخرة السيارة. وكان "دانييل" يبدو غاضبًا، [illegible]. وقامت "إيزابيل" بدور المرشد.

[illegible] من المدينة، لمح "نورتون" الكوبري المكسور وتذكر [illegible] الشهيرة، وأخذ يدندن إلى "إيزابيل":

[illegible] نرقص على الجسر... نرقص عليه... (وهي

[illegible] لتواجده في "فرنسا"، ولكن من البديهي أنه [illegible] "إيزابيل" على كل هذه الأحجار القديمة.

[illegible] "دانييل" قد لاحظ ذلك، وبدا عليه الضيق عندما شاهد [illegible] التي استقبلت بها "إيزابيل" الأستاذ أسرعوا بالعودة إلى المنزل [illegible]، وكانت "أوريلي" قد أعدت المائدة، وأخرجت أدوات المائدة [illegible] للأعياد والحفلات.

[illegible] وصوله إلى المنزل، طلب "نورتون" منحه فرصة؛ لكي يلطف [illegible] أشارت "إيزابيل" إلى حجرته معلنة له أن هناك وجبة خفيفة [illegible] انتظارهم.

[illegible] تواجد "دانييل" بمفرده في "الصالون"، صبَّ لنفسه كوبًا. [illegible] به "إيزابيل" بسرعة؛ لكي تسأله عن رأيه في "توبي نورتون".

– إنه يبدو أكبر من سنه ! على أي حال يبدو أنه سحرك وهو واضح، يلمحه أي شخص كان ! نهض "دانييل" وأخذ يتجول الحجرة ذهاباً وإياباً، تحت نظرات "إيزابيل" الدهشة.

سخرت منه:

– إنك لغيور. إليس كذلك؟

لم يجد الوقت اللازم؛ لأن "توبي نورتون" كان نازلاً، فقد ارتدى "بليزر" كحلي، وغيّر قميصه، وعقد وشاحاً من الحرير حول عنقه حينئذ دعتهما "إيزابيل" إلى الجلوس إلى المائدة.

كان هذا "الكندي" الذي يتمتع بالثقة بالنفس يبدو سيد المكان يتجاهل "دانييل" وسأل الآنسة "فلنيف" إذا كان يستطيع يناديها بـ "إيزابيل" وأن تناديه بـ "توبي" فأبدت موافقتها.

– لم يخبرني والدك أنك بمثل هذا الجمال !

أردف "دانييل" بصوت ملأته الغطرسة:

– إنك لا تتمتع بأصالة كافية يا صاحبي.

– أرى أن جمال "إيزابيل" فريد من نوعه

ابتسمت "إيزابيل" عندما سمعت رأي "الكندي"، وكانت تقارن بما شاهدته من منافسة بين الرجلين.

"دانييل" لم يجبه، كان قد قرر أن يلتزم الصمت، وعاد "توبي" إلى الحديث مع "إيزابيل":

– ألم يسبق لك المثول أمام أحد الرسامين؟

– لا تسخر، "دانييل" على حق. إنك فعلاً كلاسيكي.

أردف:

لا وجود لألف طريقة للتقرب من فتاة.

[illegible] والذي هو الذي طلب منك أن تتآلف معي.

[illegible] قاطع "دانييل" "إيزابيل"، وفي جفاف وجه الكلام إلى

[illegible] إلا يشغلون السيد "فلنيف"؟

[illegible] لا، لدي علاقات خاصة معه. إني أجعله يكسب مالاً

[illegible] أدوار مضمونة.

[illegible] إلى إذلال "دانييل". وكان هذا الأخير لا يرغب

[illegible] بدأ يتضايق منه.

"إيزابيل" من مجرى الحديث بمرونة؛ خشية أن يتجاوز

[illegible] علم، إنه مهندس والمال لا يشغل باله كثيراً.

"توبي" لهذا الإلماع.

[illegible] في جو من السكون، فما كان من "دانييل" إلا أن

[illegible] "توبي" في الحال، وتوجه إلى حجرته، بينما كانت

"دانييل" تعاون "أوريلي" على رفع ما على المائدة. ولكن فيما بعد،

[illegible] تصعد السلم المؤدي إلى الغرف، تحت ضوءاً تحت عتبة

[illegible] فترة تردد خاطفة، قرعت الباب وسألت "توبي" إذا كانت لا

[illegible] تنتظر بضع دقائق قبل أن يفتح.

www.rewity.com

كان "الكندي" قد ارتدى "روب دي شامبر" من "الستان" الأسو
وعلى "الكومودينو" - كان المنبه وبجواره مجلة أمريكية، أما ملابس
فكانت معلقة على مشجب، لكنها لم تدخل إلى الصوان بعد.

جلست "إيزابيل" في أحد المقاعد الفارغة، وقالت:

- أتمنى لو أنك حدثتني عن والدي.

لم يجبها في الحال، متظاهراً بأنه يبحث عن الكلمات.

ثم أعلن:

- إن والديك، يعتبران أناسا مرموقين في "مونتريال"؛ لأن والد
يمتلك أعمالاً ضخمة، وهو كثير الأسفار إلى "الولايات المتحدة"، إ
دائم الاتصال به، كما إني أرافقه في كل أعماله.

سألته في خجل:

- ألا يفتقدانني؟

أبدى "توبي" ابتسامة تتسم بالصدق

-إنهما يحدثانني كثيراً عنك، لكن أعتقد أنك أنت التي
البقاء في "فرنسا".

-لأني أحب هذا المكان كثيراً.

أشار "توبي" في مكر:

و"دانييل"، أليس كذلك؟

علت الحمرة وجهها واعترضت:

- إن "دانييل" يعتبر صديقًا أجد ارتياحا في حضرته. إني أعر
منذ فترة طويلة. هذا هو الأمر كله. أما "مونتريال" بالعكس،
لي أصدقاء.

وبناء على هذه الكلمات، نهضت بغتة وأرادت مغادرة الحجرة.
وضع يدها على عتبة الباب:

- اتعلمين أن في "مونتريال" يوجد أناس في غاية اللطف.

- لا أشك في ذلك، هيا، طاب مساؤك.

أعادت غلق الباب، وولجت إلى غرفتها، رقدت ونامت في الحال.
غير أن نومها كان مضطربًا بالكوابيس المؤثرة.

قابلت "أوريلي" في صباح اليوم التالي، في ساعة مبكرة جدًا مع
الذي كان يقوم ببعض التمرينات الرياضية في الحديقة.
انتهزت هذه الفرصة؛ لكي تسأله عما يرغب في تناوله في فطوره
طلب وليمة حقيقية.

بعد أن انتهيا، جلس في المكتب ووارب النافذة. لحقت
إيزابيل بـ "توبي" عندما كان يتصفح الملف، في الحال بدأت
المحادثة:

- لقد اخبرتني "أوريلي" بأنك استيقظت مبكرًا جدًا، قبلها!
لدي الكثير من المهام في انتظاري. هيا اجلسي؛ لكي نتحدث
عن سبب زيارتي. لقد حان الوقت لكي تعلمي.

وهكذا أثار الكندي فضول الفتاة التي توسلت إليه أن يسرع بسرد
لديه من أخبار:

- إنك الابنة الوحيدة لوالديك؛ وبالتالي الوريثة الوحيدة. وبصفة
مسائل الإرث تتم بسهولة، لكن، في الوضع الحالي نظراً لأهمية
ة والدك، الوضع لن يكون بمثل هذه البساطة.

تعجبت "إيزابيل" لهذه المقدمة الطويلة وطلبت من "توبي" أن

www.rewity.com

يدخل في الموضوع.

- بالاختصار، إن والدك يرغب في أن تخلفيه؛ وبذلك تنتهي الأمور.

- وما هي الأسباب التي تدفع إلى ذلك؟

- إن والدك مريض بالقلب- وأنت لا تجهلين ذلك- وبالتالي فهو مضطر إلى الحد من نشاطه، ومن أجل ذلك فهو يرغب في حضورك إلى "مونتريال"؛ لمباشرة الأعمال.

- ماذا؟

لم تكن "إيزابيل" حتى تلك اللحظة قد أدركت جيداً ما يقصده "توبي" وما يهدف إليه، لكن فجأة أعتمت الحقيقة عينيها.

فصاحت:

- أوالدي مريض جداً؟!!

وعلى الرغم مما كان يبدو على "توبي" من اللامبالاة، إلا أنه كان عليه أن يطمئن "إيزابيل".

قال:

-إن والدك رجل واعي الذهن، شجاع. وهو يعلم جيداً أنه - ولو لفترة قليل - لن يقدر على القيام بكل مهامه ومسئولياته؛ من أجل ذلك وجد أن عليه أن يتخذ الاحتياطيات اللازمة لذلك، إذا كان يرغب في الاستمتاع بعمر مديد.

في هذه الأثناء كانت "إيزابيل" صامتة، جامدة. وعلى الرغم من طمأنة "توبي" لها، لم تتمكن من حبس دموعها.

"توبي"، واقترب من النافذة، معطيًا ظهره لها من باب

*****

"دانييل" فقد أسرع إلى منزل "إيزابيل" عندما علم بما ... بين ذراعيها مرددا عبارات متلاحقة وكلمات ... مطمئنًا إليها.

... يجب أن تكوني على دراية بأمر والدك. لا تضطربي، ... على صلة بالعلوم. إن علاجه ميسور!، وأهم ... هو عدم تعرضه لأية إثارة، وإحاطته بالحنان. إذن ... التوجه إلى هناك وبأقصى سرعة.

... في حنان. وكان موشكًا أن يقبلها عندما ظهر "توبي" ... نظرات "دانييل" الذي ابتعد عن "إيزابيل" ... وكانت هذه الأخيرة قد بدت مطمئنة، تنهدت:

... فقط حوار سفري نافع.

... "توبي" فقط في نجاح رسالته، وأعلن أنه كان قد حجز لها ... الطائرة المقلعة من "نيم" والتي سوف تنقلهما إلى ... هناك، بعد استراحة قصيرة، يعاودان الرحيل إلى ...

... "دانييل" على إخفاء ما يعانيه من ألم لمغادرة "إيزابيل" ... عنه. وما هي إلا بضع ساعات، إلا وكان "دانييل"

www.rewity.com

يحمل أمتعة "إيزابيل"، بينما كان "توبي" مع "أوريلي" "الأوفيس".

وفور أن أعلنت "إيزابيل" أنها مستعدة، غادرا المنزل المنعزل.

وصلا إلى "نيم" لأخذ الطائرة التي كانت قد تأخرت، بسبب الأحوال الجوية.

كانت "إيزابيل" و"دانييل" قد تبادلا نظرة ملؤها الأسى بعد كم من الزمن سيلتقيان؟ !

تطلعت "إيزابيل" إلى الأرض التي قضت فيها أجمل سنوا وحيث تركت "دانييل" - تقريبا رغماً عنها - ورددت :

- يا حبي.

*****

الفصل الخامس

في اليوم التالي، وفي بداية فترة ما بعد الظهر، كانت الطائرة "T.W.A" التي تحمل "إيزابيل" و"توبي" قد هبطت في مطار "إيزابيل في "مونتريال".

أتم "توبي" إجراءات الجمرك بسرعة، واصطحب ابنة "هنري [illegible] المطار؛ حيث كانت سيارة "ليموزين" رمادية [illegible] انتظارهما. تقدم السائق - وهو في زيه الأنيق- وفتح [illegible]، ثم وضع الحقائب في حقيبة السيارة.

[illegible] السيارة في الحال، متخذة طريق الحي "الإنجليزي" في [illegible]

[illegible] "إيزابيل" يقيمان هناك. طلب "توبي" من السائق أن [illegible] في وسط البلد لكي يري "إيزابيل" الحي "الفرنسي"، [illegible] الذي تتواجد فيه شركة والدها، حي الأعمال التجارية.

[illegible] "إيزابيل" لا تصغي إلى شرح "توبي" جيداً؛ لأنها كانت [illegible] اللقاء والديها اللذين لم ترهما منذ عدة سنوات.

[illegible] آخر مرة التقت فيها بأمها منذ عامين، ولم يكن لديها [illegible] الكافي حينئذ لأن تتحدث معها، وأن توافيها بأسرارها.

[illegible] أخبر "توبي" أنها لا تصغي إليه، طلب منها أن تعفو عنه [illegible] بواسطة أبطي إظهار معالم المنطقة لك، وجعلك تشاهدين [illegible] التي تعتبر مقر أنشطة والدك.

[illegible] في هذه الأثناء يشير لـ"إيزابيل" إلى مبنى من الزجاج كُتب

www.rewity.com only girl

على واجهته بأحرف من "النيون" : "إنتر كونتيننتال كمباني".

عندما وصلت السيارة إلى الحي الإنجليزي، صعدت إلى ممر صغير وتوقفت أمام منزل جميل ذي سقف من "الاردواز"، وجدران من الأحجار.

وفور خروج "إيزابيل" من السيارة، خرج والداها من المنزل، واندفعا معاً نحو ابنتهما. و"توبي" وقف بعيداً من باب التحفظ، أثناء فترة اللقاء الحار هذا.

أحاط كل من "هنري" و"دوروثيه" والدة "إيزابيل" بابنتهما وأمطراها بالقبلات.

غير أن السيد "هنري فلنيف" لم يكن من أولئك الرجال الذين يظهرون مشاعرهم، وكان يخشى أن يلمحه أحد. ولجوا إلى المسكن ذي الأثاث الفاخر، وكم كانت دهشة "إيزابيل" عند مشاهدته، وإن كان والداها قد وصفاه لها في خطاب، إلا أنها كانت لا تتخيله بمثل هذا الترف، كانت تتخيله أبسط من ذلك على الرغم من أنها لا تجهل ثروة والدها.

اصطحباها بعد ذلك إلى "الصالون" وقام أحد الخدم بحمل حقائب "إيزابيل"، ومن جانبه اعتذر "توبي" واستأذن منهم. وعندما تفرس "هنري" في ابنته، أبدى لها دهشته بغتة:

ـ لقد أصبحت فتاة مكتملة، ويالله من جمال الذي أنت عليه يا ابنتي! أتعشم أنك لن تتركينا بعد الآن. أليس كذلك؟

ـ أقسم لك!

طلبت "إيزابيل" منهما أن تقوم بمفردها بزيارة المسكن الجديد

[illegible] قد [illegible] بتدقيق كل جزء وهي تفتح كل الأبواب.

[illegible] ان بدلت ملابسها وفكت حقائبها، لحقت بوالديها في [illegible] الطعام. كان "هنري" يرتدي بذلة من القطيفة بلون بني، [illegible] "لافوسته"، وكانت ملابسه دائماً ذات طابع متواضع، أما [illegible] "دوروثيه" فكانت تميل إلى الأناقة وتختار ملابسها من أكبر [illegible] الأزياء شهرة، وكانت تتبع الموضات عن قرب.

[illegible] إلى ذلك لم يتغير أي منهما.

[illegible] قد أعدت، ووجبة شهية فاخرة قد قدمت؛ بمناسبة [illegible] "إيزابيل". وكان من عادة آل "فلنيف". أن يتناولوا العشاء في [illegible] متأخرة جداً، لكن بما أن "إيزابيل" كانت قد قامت برحلة [illegible] تكون قد أنهكتها، تناولوا العشاء في نهاية ما بعد

[illegible] "هنري" إلى ابنته:

[illegible] "تورنتو ريال" مدينة كبيرة، ممتعة جداً. وعلى الرغم من أن [illegible] يتطلق جيداً "بالإنجليزية"، إلا أنه يكن لها حبًّا شديداً. [illegible] ريال إياها وستشعرين بعد فترة وجيزة بأنك أشبه بالسمكة [illegible] بالنسبة لهذه المدينة.

[illegible] "دوروثيه":

[illegible] أنه يحدث فيها أشياء عجيبة ولا يسودها الهدوء دائماً، [illegible] في النهاية والدك على حق: إنها مدينة جذابة!

[illegible] "إيزابيل" تتساءل عن السبب الحقيقي لمجيئها إلى [illegible] "تورنتو ريال"، غير أنها كانت لا تجرؤ على المبادرة بتوجيه السؤال.

وكان والدها لا يبعد نظره عنها، وكأنه يقيمها. شعرت "إيزابيل" بشيء من الحرج لهذا الإلحاح الذي يفحصها به.

وفجأة، ناداها :

– أعتقد أنك... ستكونين على مستوى المسؤولية، ولا شك في أن "توبي" أخبرك بأن قلبي بدأ يضعف، وأني ساعتمد عليك. ثم أضاف :

– أرجوك، لا تذكري مرضي ؛ لأني لا أحتمل الدموع، ولا كلمات الإشفاق ! هل أنت موافقة على ذلك؟

بعد فترة تردد، أردفت :

– سنعمل كما يحلو لك.

– حسناً، إذن نتكلم الآن عن مستقبلك، من البديهي أنك ستجدين من يعاونك، ولدي الشخص الذي يلزم لذلك. إن "توبي" شخص مثالي. وأعلم أنه يبعث بالضيق، وهو أيضاً طماع، لكنه سيكون نافعاً لك جداً في البداية.

في هذه الأثناء كانت "دوروثيه" صامتة، لكن عند سماع حديث زوجها، أردفت :

– إن "إيزابيل" وصلت منذ قليل، وهانت تلاحقها بقصصك، دعها تستريح قليلاً، انتظر للغد حتى توافيها بكل أفكارك، كل ذلك من الممكن أن يؤجل، أليس كذلك؟

– أنت على حق يا "دوروثيه" العزيزة. سأكف عن الإثقال على هذه الصغيرة.

وعندما انتهت الوجبة، التفت نحو "إيزابيل" وعرض عليها الذهاب

إلى الحديقة للتنزه. تركتهما "دوروثيه" على انفراد مدعية أنها ذاهبة إلى الطاهية. نهض "هنري" واصطحب "إيزابيل" وخرجا من الصالون، وصعدا إلى الحديقة حيث الخضرة النضرة ومسطحات الزهور ذات الألوان الجذابة.

كان الأب يسير ببطء بجوار ابنته متابطًا ذراعها، وكان "هنري" شارد الذهن. الأمر الذي جعل "إيزابيل" تتوقع أنه يتمنى أن يتحدث إلى "توبي". لم يكن معتاداً الغش لكنه لم يكن قد رأى ابنته منذ فترة طويلة ولم يكن يجهل كيف يقنعها.

– رأيك في "توبي"؟

– يبدو ظريفًا ويقظًا. لماذا؟

– لقد "هنري" بأنه أساء اختيار صيغة السؤال.

– لا شيء.

– بصفته رجلا. إنك الآن آنسة. و"توبي" شاب جذاب...

– أتريدين "إيزابيل" ما هي الفكرة المسيطرة على ذهن والدها، واستحسنت صراحة والدها وتظاهرت بالسذاجة، وقالت :

– إنك على حق. لابد أنه يعجب السيدات.

وإذ تعابث قال :

– هل أعجبك؟

– آه يا أبتاه ! إني أجده معتزاً بنفسه أكثر من اللازم، ومتغندراً. وأنا لا أميل إلى هذا النوع من الرجال. إنه لطيف حقًا، لكنه لم يؤثر في!

ابتسم "هنري" شفتيه، ولكنه لم يعترف بالهزيمة :

– لأن لديك من يعجبك؟

وكانت عبارة الأب لا تخلو من السخرية. شعرت بها "إيزابيل" تساءلت: كيف ترد عليه؟. كان والدها قلقًا ويرغب في معرفة المزيد. وعلى الرغم من ذلك آثرت التحدي:

– لقد تقابلت مع شاب حاول تقبيلي، ولكنه لم يلح. وبخلاف ذلك لاستسلمت. إني واثقة بأنه يحبني!

ألقى "هنري" بنفسه في مقعد ذي مساند وتفرس في ابنته، وارا معرفة المزيد من المعلومات عن هذا الشاب الذي حاول أن يقبل ابنة وعلى ما يبدو – حسب قولها – أنه يحبها.

– وأنت، هل تحبينه؟

فما كان من "إيزابيل" التي كانت حتى هذه اللحظة تبدو واثقة بنفسها، إلا أن عجزت عن الكلام. نعم إنها تحبه، إذا كان معنى الحب هو أن تفكر في شخص ما بلا توقف.

طلبت من والدها أن يتركها، وأنها سوف تلحق به بعد زيارتها للحديقة.

– هل أنت في حاجة إلى البقاء بمفردك؟

مالت "إيزابيل" إلى والدها؛ لكي تقبله. صارحها بأنه انتظر طويلاً. وأنه كان غير محتمل غيابها، لكنهم من الآن فصاعدًا لن يفترقا. وافقت "إيزابيل" متأثرة، ثم ذهبت للتجول في الحديقة.

وعندما عادت إلى المنزل، كان والدها جالسًا في مقعد من الجلد يقرأ جريدته بانتباه شديد، و"دوروثيه" قد توجهت إلى حفل خيري.

خلعت "إيزابيل" حذاءها وأخذت تقرأ من أعلى كتف والدها. وكان هذا الأخير قد رفع نظارته إلى جبينه، وأشار لها إلى الورق المربوط أمام أعينهما:

هذه الصحيفة ملكنا، ستكون ضمن جهاز عرسك مثل باقي ما

ما اسمها؟.. سألته "إيزابيل".

الوندربالية. هناك خمسة ملايين "كيبكوا" فرنسي، وكثيرون يقرأون هذه الجريدة. آه، ليتني كنت صحفيًا! قال هذا وأطلق

تنهيدة واستند إلى ظهر المقعد. وضعت "إيزابيل" ذقنها على كانت تبدو متعبة، وكانت في حاجة إلى الراحة. ذلك كانت لا ترغب في الدخول إلى مخدعها في

ابنة صحفي!؟

واصلت "إيزابيل" تضحك، وقالت:

يا فيلمي!

وجهها إلى والدها، وعيناها مغلقتان. لمس "هنري" جبينها وشجعها على الذهاب للنوم.

في انتظارك غدًا يوم شاق. ويجب أن تستريحي؛ لأنك سوف تذهبين إلى مقر الـ "إنتركونتنتال كومباني". نحو الساعة العاشرة، وسأقدمك إلى شركائي. سوف تحيرينهم وبذلك تحققين كثيرًا من أمرك. استغلي سحرك لدى الرجال، لأنهم هم

www.rewity.com

الأكثر طموحًا ولابد أن وصولك قد أزعجهم، لكن لا تهتمي بهم
إنهم ليسوا سوى جماعة من النهمين، الذئاب، الطماعين.

مطت "إيزابيل" شفتيها دهشة. ولماذا تتعرض لأن تكون فريسة
لمثل هذا الفضول؟ حدثت ذاتها بأن العناء بدأ، غير أنها تعزت عندما
تذكرت "دانييل".

قد تتمكن من العثور على وسيلة تجعله يأتي إلى "كندا"، على أي
حال لن تبذل جهودها في هذا الاتجاه.

ارتقت درجات السلم ببطء، واتجهت إلى حجرتها.

نعم، ستعمل على مجيء "دانييل"!

ومثل والدها، كانت "إيزابيل" تعرف كيف تدافع عن كل ما يهم
بمشاعرها، أو تتمسك به.

*****

الفصل السادس

كان "هنري فلنيف" ينهض كل يوم مبكرًا، في هذا الصباح كانت
تضيء الأفق. لم يتأخر عن تناول فطوره إذ كانت مفكرته
تشير إلى العديد من المواعيد.

قبل انصرافه ترك لـ "إيزابيل" تعليمات محددة، لأنه كان لابد له
من العودة على الحديد وهو ساخن!

مرت "دوروثيه" على أطراف أصابعها إلى حجرة ابنتها وأزاحت
الستار، جلست على السرير وانتظرت حتى تستيقظ "إيزابيل".
أنارت هذه الأخيرة تغمغم وهي تتقلب عدة مرات وهي تبعد عنها
الأغطية بعصبية.

سألت:

كم الساعة؟

إنها ساعة استيقاظك. والدك في انتظارك في مكتبه في الساعة
العاشرة. هذا هو قراره. نصيحة. لا تجعليه ينتظرك !؛ لأن هذا يجعله
في حالة مزاجية سيئة. قالت هذا وهي تضحك.

جلست "إيزابيل" وكانت عيناها ناعستين، ثم سقطت ثانية على
الوسادة.

هزتها أمها.

هناك "دوش". وهو سيساعدك على الاستيقاظ!

وفي تمام التاسعة والنصف كانت الفتاة مستعدة بعد تناول فطور
خفيف. كان سائق والدها قد حضر لأخذها. دخلت الـ "مرسيدس".

www.rewity.com

كانت وهي بداخلها تنظر إلى المنازل الريفية. والحي الذي كان والدها قد أعدّ إقامة أسرته فيه وهو زاخر بالمساكن الفاخرة.

كانت "مونتريال" أشبه بـ "نيويورك" و "باريس". في وسط المدينة كانت الشوارع قد بدأت تزدحم وكانت السيارات تتلاحق، متسببة في اختناق للطريق، ولكن السائق اجتاز شارع "دورسيشتر" بمرونة.

كان هذا الشارع الرئيسي أشبه بشارع "سان أونوريه" في "باريس"، حيث محلات الجوهرية، وكبرى بيوت الأزياء.

مرا في الحي "الفرنسي" القديم المشيد بالقرب من ضفاف "سان لوران"، وأخيرًا وصلت الـ "مرسيدس" عند البرج الذي يحتوي على مكاتب الـ ".I.C.C" الـ "إنترناشيونال كونتنتال كومباني"، الذي كان قد أشار إليه "توبي" ليلة وصولهما من المطار.

اتخذت السيارة طريقًا جانبيا ونزلت إلى الجراج المعد للسيارات، حينئذ أقبل عامل المصعد وساعد "إيزابيل" على النزول، فشكرته وتبعته إلى المصعد.

فجأة شعرت بيد تستقر على كتفها، بينما صوت أنثوي يناديها:

- آنسة "فلنيف" أتقدم إليك: "بيتي لانكولن" "علاقات عامة" للشركة، لقد أرسلني والدك للقائك. إن لم تجدي في ذلك ضيقًا، أنا من ستقوم لك بدور المرشد.

أطالت "إيزابيل" النظر إلى الفتاة التي كانت تبدو كأنها ولدت والابتسامة على شفتيها. فهي أنيقة، في هندام جيد، حسنة المظهر، ذات عينين واسعتين، سوداوين، وشعر "كستنائي" قصير بعض الشيء، فارعة القوام، غير ممتلئة.

قالت "إيزابيل" لنفسها قائلة: "لاشك في أن هذه الفتاة سحرت [illegible]!"

[illegible] المصعد إلى الطابق السابع عشر، حيث كان "هنري" قد [illegible] مناسبة وصول ابنته. وكان قد دعا لهذه المناسبة رؤساء [illegible] ومن البديهي "توبي نورتون". وعندما دخلت "إيزابيل" إلى [illegible] التي اجتمع فيها المدعوون في انتظارها، ساد الصمت المكان.

[illegible] المكان واقفًا بعيدًا ممسكًا بكوبه، بالقرب من نبات [illegible] بنظراته وصول "إيزابيل"، واثقًا بنفسه كشاب جذاب. [illegible] وصافح "إيزابيل" بشدة، مما جعلها تستنتج هدف [illegible] وانحنى وقبّل يدها بحمية، وقالت في جفاف:

[illegible] يا "توبي"، كيف حالك؟

[illegible] باني على ما يرام منذ دخولك إلى هذه القاعة.

[illegible] "هنري فلنيف" من ابنته التي كانت تقف خلفها "بيتي [illegible]"، وعندما لمحت "إيزابيل" والدها قالت وهي تضحك:

[illegible] تعلم أن "توبي" يسعى إلى التقرب مني، كلما أتيحت له [illegible] لذلك؟

[illegible] ستلومينه إن لم يقم بذلك. إنها عادة النساء!

[illegible] نحو "بيتي":

[illegible] كذلك يا "بيتي"؟

[illegible] ملاحظتك مناسبة جدًا لرجل!

[illegible] صرف السيد "هنري" كل العاملين معه، وكذلك جميع

www.rewity.com

الحاضرين باعتبار أن عملية التعارف قد تمت؛ لكي يتفرغ لمهامه.

فرغت القاعة في لمح البصر.

ولم يبق فيها سوى: "هنري فلنيف"، و"إيزابيل"، و"بيتي" و"توبي".

أعطى الرئيس تعليماته إلى "بيتي" وهو يحفف جبينه بمنديله. كان عليها أن تهتم بالفتاة الوافدة، وأن تشرح لها بالتفصيل كل أقسام المنزل وتساعدها على زيارتها.

اكتشفت "إيزابيل" أن والدها كان قد فكر في كل شيء، وندر كل أمر، حتى في المطعم الذي ينبغي أن تتناول غداءها فيه. وحتى قائمة الطعام أعدها بنفسه.

استأذن بعد أن أعطى الأوامر، ورافقه "توبي".

وكان هذا الأخير. قد ألقى إلى "إيزابيل" نظرة خاطفة قبل أن يغلق الباب خلفه.

سألت "بيتي" الفتاة من أين تفضل أن تبدأ.

- لي كل الثقة بك، وأنت خير من تعلم.

- إذن نتوجه أولاً إلى مكتبي، لأن لدي بعض الاتصالات، بعد ذلك أمنحك كل اهتمامي.

نزلتا إلى الطابق السفلي وولجتا إلى مكتب "بيتي". هناك كانت ماكينات للدعاية، والفتاة - بحركة دائرية أشارت لـ "إيزابيل" إلى كل ما بالحجرة.

- إني أعمل هنا. هل ترغبين في تناول مشروب؟

ثم ملأت كوبين من المرطبات ودعت "إيزابيل" للجلوس. بدأت

القاعة تخلو من الحاضرين بشتون الشركة الكندية التي يديرها بريطانيون، [illegible] لها النشطة مجلس الإدارة، كانت تتكلم بلهجة بسيطة، [illegible] فاطمتها "إيزابيل":

[illegible] وانت تعملين مع والدي؟

[illegible] أعمل في هذه الشركة قبل وصول والدك، في الإدارة [illegible]

[illegible] درجة بعد درجة. إن كل منا يجد فرصته هنا. [illegible] يدعها تفوته.

[illegible] "بيتي" كوبها وتركت مكتبها. لكي تجلس بالقرب من [illegible] لم واصلت:

[illegible] إلى "توبي"! لم يكن شيئاً منذ عدة سنوات، لا [illegible] مثقف حقًا، لكنه لم يكن سوى قشاط طاولة، وها هو [illegible] ول عن كل شيء، عن اتخاذ القرارات الكبرى. وعلى الرغم [illegible] ذلك

[illegible] له طموحاته وأطماعه.

[illegible]ها "إيزابيل":

[illegible] ؟ ألست طموحًا؟

[illegible] إن ما قلته عن "توبي" لا أقصد به الإقلال من قدره!

[illegible] "بيتي" وعرضت على "إيزابيل" أن تتبعها، وقادتها في [illegible] شركة الـ "I.C.C." كانت على ما يبدو لا ترغب في إطالة [illegible] عن "توبي". ولا "إيزابيل". وإنهم يحدثونها كثيراً بالتأكيد [illegible] هذا الشخص. وبعد أن قضت "إيزابيل" ساعتين في التجول في

هذا العقار، شعرت أخيراً بالجوع.

اصطحبتها "بيتي" إلى "لوران" وهو مطعم فرنسي مشهور في "مونتريال"، يقدم أطباقاً شهية، فاخرة والخدمة فيه متميزة، ولكن بعد الوجبة، أعلنت لها "بيتي" أنه ينبغي أن تسرعا للذهاب إلى "مونترياليه".

استأجرتا سيارة أجرة إلى الجريدة، وفي السيارة كانت "بيتي" لا تتحدث كثيراً. وكانت "إيزابيل" لا تعرف إذا كان ذلك عن عمد أم أنها ملّت الثرثرة. وجهت لها هذا السؤال، فاستطردت رفيقتها في الحال:

– سأسمح لنفسي بأن أكون صريحة. أعلم جيداً أنه كان ينبغي أن أحتمل أكثر من ذلك، لكن هذا هو الوضع. اطمئني الأمر لا يخصك. ببساطة، أنا أتقدم في العمر ويمتلكني إحساس بأني أدفن حيّة!

– ولماذا لا تتخلين عن هذا العمل؟

– إنك تعلمين أن الحياة شاقة بالنسبة للمرأة. لقد وجدت الفرصة التي تجعلني محترمة، لكن من يدري إذا كان الغد..

ولم تكمل جملتها؛ لأنهما وصلتا. صعدتا مباشرة إلى قاعة التحرير.

أسرع حينئذ إلى لقائهما رئيس التحرير؛ غير أنه وجد نفسه مرتبكًا؛ العمل يطلبه ولا يستطيع مرافقتهما في زيارتهما هذه.

أمسك بذراع "بيتي" معلناً لها أن "بيتر ريان" سيحل محله، ثم اعتذر لـ "إيزابيل" وانصرف بسرعة.

وهنا همهمت "بيتي":

إنه الحال معه هكذا دائما. إنه لا يقبل أن يزعجه أحد من الخارج. على أي حال "بيتر" شخص لطيف جداً وجذاب أيضاً.

وحل "بيتر ريان" وقدم نفسه. كان يبدو متألقا مع "بيتي". إذ إنهما تعالقا، مما جعل "إيزابيل" تشعر بشيء من الغيرة وتمنت وجود "دانييل"، ليضمها إليه ويقبلها هي أيضاً. بدا عليها التأثر عندما انتقلت من قاعة التحرير إلى قاعة الـ "تليكس". ولمحت "بيتي"

هل تشعرين بالتعب؟ أترغبين في أن نعود؟

كانت "إيزابيل" غارقة في الأحلام، وافقت دون أن تدري على ما اقترحته "بيتي". وجعلتها ترافقها ثانية إلى مقر الشركة. [illegible] هناك، في أحد المقاعد الوثيرة في انتظار خروج والدها من [illegible]. كانت لا تزال فكرة "دانييل" تراودها. وكانت تستعيد الشهد، يوم أن ضمها إليه، وندمت وقتئذ لعدم خضوعها له. تذكرت كذلك شعورها عندما لمستها يدي "دانييل". لماذا أبعدته؟!

رأى "هنري فلنيف" أن ابنته مستغرقه في تأملاتها، كان الارتباك بادياً عليها تماماً. اقترب منها وسألها:

– يبدو أنك شاردة! ما الذي يحدث؟ هيا حدثيني، ربما أستطيع أن أفيدك!

فجأة بدأت "إيزابيل" تسرد لوالدها كيف أنها وقعت في حب "دانييل"، وكم أنها تفتقد هذا الشخص. وكانت من خلال اعترافها هذا تبدو وكأنها تناشد والدها أن يستدعي الشاب الفرنسي إلى

www.rewity.com

"مونتريال".

- إنه الشاب الذي حدثتني عنه؟

- نعم، غير أني بالأمس لم أكن واثقة بحبي له بالتأكيد، أما اليوم، فأصبحت واثقة تماماً.

جلس السيد "هنري" بجوار ابنته، ومكث صامتاً لعدة لحظات. لقد كانت لديه مشروعات أخرى بالنسبة لابنته. إنها فكرة زواج "إيزابيل" بـ "توبي"، الفكرة التي تراوده منذ اللحظة التي طلب منه خلالها أن يذهب لإحضار ابنته من "فرنسا". غير أنه كان يجهل وجود شاب آخر في حياة "إيزابيل"؛ لذلك أراد معرفة المزيد من التفاصيل.

- هل كلاكما اتخذ قراراً ما؟

- بالضبط يا أبي، لقد مرت الأمور بسرعة فائقة، ولم نجد الفرصة ولا الوقت لكي نتقابل، أو نتحدث معاً، اتمنى أن يأتي هذا الشاب إلى "كيبيك" !. إنه مهندس زراعي، ومن الممكن أن يكون نافعاً حاول، أتوسل إليك!

نهض "هنري" وقد تملكه الضيق. ووقف أمام الفتحة الزجاجية التي يستطيع منها الشخص مشاهدة كل "مونتريال" من خلالها. ها هو اعتراف ابنته يتعارض مع خططه لا لأن له مودة خاصة نحو "توبي نورتون"، إنما لأنه بدافع من التعقل يفضله على أي شاب آخر؛ إذ إن هذا الشاب لن يكون مجرد صهر، إنما وسيلة لتنمية أنشطة الشركة بعد إحالته للمعاش الإجباري.

كما أن السيد "هنري" كان لا يلوم ابنته على أنها أحبت شخصاً

www.rewity.com

واقل من ذلك فهو ليس الشخص الذي يفرض عليها ارتباطاً لا

لذلك قرر أن يتمهل؛ فعمل على إرجاء هذا الموضوع!

أني لست قادراً على دراسة الموضوع، لكني لا أضمن شيئاً.

هذا الوعد. هذا من ارتباك "إيزابيل" التي لحقت بأبيها بالقرب من

والتصقت به، وقالت:

على يقين بأني أستطيع الاعتماد عليك.

الفرج على "هنري"، الآن عليه أن يختار بين صالح الأسرة

سوف يجد له وظيفة مناسب لمؤهلاته.

"إيزابيل" وأبوها معاً في نفس الليلة. كان لزاماً عليهما

بقيمها عمدة "مونتريال".

القهوة في "الصالون"، أحضر عامل "التلغراف"

إنه خاص بـ "إيزابيل"، آتيا من "فرنسا".

"إيزابيل" من إخفاء سرورها، عندما طلبت من والدها

لها بالانسحاب. وعندما وصلت إلى حجرتها فتحت

حاول قراءة الخط العصبي، تأثرت "إيزابيل".

"دانييل" لا يخفي عنها ندمه على غيابها، فهو يجهل

الذي أبعدهما، ولكنه قرر أن يتصرف وبسرعة. سوف

كل منهما الآخر.

"دوروثيه" التي علمت بأمر ابنتها من "هنري" أتت وقرعت

إزعاج لك؟

ـ لا، ادخلي يا أمي ! هانا أقرأ خطاباً ذا أهمية قصوى بالنسبة لي،

هكذا قالت في صراحة ساذجة.

استفسرت أمها:

ـ "أي نوع من الأهمية؟"

وعوضًا عن أن توضح "إيزابيل" الأمر لأمها، تاولتها الخطاب. قرأته "دوروثيه" ببطء، طوته وألقت إلى ابنتها نظرات حانية. لامت نفسها فجأة على عدم اهتمامها أكثر من ذلك بـ "إيزابيل"، وعلى أنها تركتها تعيش فترة طويلة بمفردها في ذلك المنزل المنعزل.

ـ أمن الممكن أن أشاركك أسرارك ؟ إنك وحيدة، ليس لك أخ أو أخت.

ـ هيا يا أمي، لا داعي للتفكير في ذلك. إنى أحب "دانييل" هو الوضع. وهو بعيد عني، ولا يعرف شيئاً عن مشاعري! طلبت من أبي أن يجد له عملاً هنا، وهو أبسط حل!

وكانت "دوروثيه" تعرف نيات زوجها ؛ وعلى الرغم من انزعجت لما تعانيه ابنتها، فهي لا تستطيع إفشاء السر. لقد زوجها من الكلام في هذا الموضوع، لأنه قرر ترك الأمر لفعل الزمن

ضمت "إيزابيل" إليها في حنان وغمغمت:

ـ إذا كان والدك قد صارحك بانه سوف يقوم بأي عمل فضعي ثقتك به. والآن أسرعي، لقد تأخرنا، تزيني.

كانت "إيزابيل" تتمنى لو أنها استطاعت رفض هذا الاستدعاء الذي كانت تشعر به مملاً، غير أن السيدة "ويلدوكس" شخصية كيانها في "مونتريال" لان تقبل مثل هذا الرفض. وبطريقة، أو بأخرى

سوف تتصرف لتدفع إلى "هنري فلنيف" أقل قيمة لابنته.

بدأت "إيزابيل" تستعد وهي تتنهد.

وكانت تتساءل عن المدة التي سوف تقضيها إلى أن تلتقي بـ "دانييل"، وليس ما يشغل فكرها سوى ذلك.

لم يذكر في خطابه الكلمات المنتظرة، الكلمات التي تتمنى سماعها، الكلمات التي أخذت تنطق بها من أجلها هي وحدها: "أحبك - أحبك".

*****

www.rewity.com
only girls

الفصل السابع

وقفت سيارات "الليموزين" ذات المعادن اللامعة، أمام مقر العمدة، تنزل أفواج المدعوين. كما أن المصورين أسرعوا لالتقاط صور كبار الشخصيات في "مونتريال" رجال يرتدون الـ "فراك"، سيدات في أبهى ملابس وأجمل زينة، المساحيق تعلو وجوههن، الكل يفد إلى القاعة الكبرى والمضاءة بعشرات الثريات.

وكان قائد الشرطة ماثلاً في الحفل وسط المدعوين.

كانت "إيزابيل" ترتدي فستان سهرة، وتغطي كتفيها بـ"كاب" كانت قد أخذته من أمها. ووصلت في نفس الوقت الذي وصلت فيه "بيتي". كانت قد طلبت منها أن تمكث بالقرب منها؛ لأنها كانت تفزع من الجموع.

وفي الحال أعلنتها "بيتي" أنها ستكون مثار إعجاب وفضول السهرة، ونصحتها بألا تضع ثقتها في "السيدة "ويلدوكس" زوجة العمدة.

كانت هذه السيدة تحكي الوقائع الفاضحة في مجتمع "مونتريال"، تحت مظاهر السذاجة التي تبدو عليها.

وصلت الفتاتان إلى البوفيه بكل صعوبة. وهناك أخذ "بيتر" يلاطف مضيفتهما،أخذ يسمعها أشعارا! وكانت هذه الأخيرة - على ما يبدو - لا تفهم منها شيئاً.

ولما كانت "إيزابيل" قد التقت قبل ذلك بـ "بيتر" في "مونتريالية"،صافحته في مودة. و"بيتي" قدمتها إلى السيدة العمدة

في أرتدي فستان سهرة ليبرز قوامها.

إنها إذن تلك السيدة التي حذرتها منها.

كثيرا ما حدثنا والدك عنكِ يا آنسة "فلنيف"، لكنه لم يخبرنا بالفعل بمثل هذا الجمال.

أجابت "إيزابيل":

- وأنا كذلك سمعت عنك الكثير.

- إني أنصحك بما قيل لكِ. إنك لا تعلمين نيات الناس إنهم [illegible] في النهاية... ساتركك مع أصدقائك.

وابتعدت السيدة "ويلدوكس" عن البوفيه في بطء. وفي هذه الأثناء كان "بيتر" قد أحضر كؤوس شراب إلى الفتاتين. فجأة لمحت "إيزابيل" "توبي" واقفاً بعيداً عن الجموع، يتبادل الحديث مع [illegible] فأشارت له بيدها، فشق الجمع وأقبل إليها.

ولما كان يجهل وجود "بيتي"، قال:

- إني أمقت هذا النوع من الاحتفالات. في إمكاننا أن ننسحب ونقضي سهرتنا في أي مكان آخر.

أجابته "إيزابيل":

- أنسى ذلك، ولكن لابد لي من العودة مع والدي.

- في إمكاني التصرف!

وكان يتمتع بروح التسلط، بعد دقائق كان الثلاثة "بيتي" و"بيتر" و"إيزابيل" يتبعون "توبي".

غادروا قاعة الاحتفالات، ركبوا سيارة المحامي، ونزلوا في النهاية - [illegible] لهروبهم هذا - عند "سكوتين بار" الذي يقع في "كوين

ستريت".

هناك كانت تعزف موسيقى "الجاز"، وكان المكان غارقًا في ضوء خافت.

كانت القائمات بالخدمة تملأن المكان. أقبلت إحداهن، أمسكت بذراع "توبي" وقادت الفريق إلى إحدى الموائد. أخذت الطلبات، بينما كان "بيتر" و"بيتي" يرقصان على حلبة الرقص. "توبي" و"إيزابيل" مكثا على انفراد.

بعد فترة صمت، اتخذ موقفًا ما بين الجد والهزل، وأردف:

– لقد أخبرني والدك أنك تتمنين أن يأتي "دانييل" إلى "كيبيك". إذن لقد افتقدته؟

لم تتردد:

– اسمع يا "توبي"، إني أحب "دانييل". وإن لم يأت إلى هنا فسأعود أنا إلى "فرنسا".

أبدى "توبي" وجهاً هادئاً:

– في هذه الحالة! ولكن أي ميزة تجدينها فيه؟ شبابه، أم هيئته؟

هزت كتفيها:

– يدهشني رجل قادر على الفهم، خاصة أنت يا "توبي".

– وأنا، ألا أعجبك؟ مع ذلك أعتقد أني أتمتع بشيء من السحر والخبرة.

وإن كانت "إيزابيل" قد رأت سخافة في تعليله، إلا أنها لم تظهر إثارته.

وقالت:

– إنك جذاب لا شك في ذلك، لكن المشكلة ليست هنا. لأني أتكلم عن الحب!

طلب منها أن تقبل الرقص معه. فنهضا ولحقا بـ "بيتر" و"بيتي".

في البداية قبلت ملاطفته لها، لكن عندما حاول فجأة أن يتجاوز حدوده، شعرت بأنها ترغب في أن تصفعه. وعلى الرغم من القبلات التي كان يختلسها، لم تتأثر الفتاة، بل تمالكت نفسها، ولامت نفسها على لحظة الضعف في البداية.

وفكرت في "دانييل" الذي رفضت السماح له بمجرد قبلة بسيطة!

ثم عادت إلى المائدة، دون أن تلقي نظرة إلى "توبي" ولم توجه إليه كلمة واحدة، بغتة طلبت من "بيتي" أن تعيدها إلى المنزل. و قام "توبي" بتحية "إيزابيل".

وكانت موشكة أن تبكي وهي تلعن "توبي". وكانت "الكندية" تلوم نفسها على ما تعاني منه.

وقفت سيارتها قبل الوصول إلى منزل "فلنيف"، التفتت نحو "إيزابيل" وبنبرة وديعة وضحت لها:

إنها عادة "توبي" مع الفتيات؛ لأنه يرغب دائمًا في إثبات أنه لا وجود للمرأة التي تقاومه. خذي منه الحذر؛ لأنه قوي جدًا.

وفي دهشتها أرادت "إيزابيل" معرفة المزيد عن هذا الأمر:

– ماذا تقصدين بقولك هذا؟

– لقد شاهدته بنفسي، منذ عدة سنوات. كنت في هذه الفترة قد وصلت إلى "I.C.C."، حينئذ توسل إليّ؛ لكي أدخله إلى الشركة، وكان حاصلاً على العديد من الشهادات العلمية؛ فقبل فور تقديمي

إياه إلى المدير.

قاطعتها "إيزابيل":

- الأمر يختلف بالنسبة لي! إني أحب شابًا وألوم نفسي إذا قمت بخيانته!

وامتلأت عينا الفتاة بالدموع، شعرت بانها مذنبة، وأن "دانييل" لن يسامحها!

حركت "بيتي" محرك السيارة مرة أخرى، حاولت أن تطمئن "إيزابيل":

- هيا لا داعي للمبالغة، لا تصعدي الأمر. إنه يميل إلى إظهار رجولته، وأنت لم تدفعيه. إنها سذاجة منك. ألا تعتقدين ذلك؟

وفي الواقع - هكذا حدثت "إيزابيل" ذاتها، ليس في إمكان "توبي" ادعاء أنه أغراها، لكن إن لم تكن الموسيقى قد توقفت؟

وهكذا لم تتمكن "إيزابيل" من الحصول على الاسترخاء منذ وصولها إلى "مونتريال".

كانت تعيش على أعصابها. والآن إنها في حاجة إلى راحة. وان تلزم والدها بإحضار "دانييل"، بعد ذلك سوف تغير رأيها وقبل ان تفترقا طلبت "إيزابيل" من "بيتي" أن ترفع الكلفة بينهما، وان تعتبرها صديقة، ثم دخلت إلى الحديقة.

بالتأكيد إن الحياة في هذا المنزل المنعزل أسهل وأكثر سعادة. هل ستستعيد يوما ما راحة البال؟

*****

الفصل الثامن

كان "دانييل" قد قبل بانعقاد مؤتمرات في جامعة "إيكس إن بروفانس" عن المشاكل المتعلقة بالزراعة في "إفريقيا".

كان بعد رحيل "إيزابيل" المفاجئ قد أخذ يبحث عن عمل.

كما أنه كتب إلى "إيزابيل" وها هو في انتظار ظهورها. فكان في كل صباح يسرع إلى صندوق البريد الخاص به في الساعة التي يأتي فيها موزع البريد، ويسحب ما له من خطابات بسرعة على أمل اكتشاف ظرف عليه طابع "كيبيك".

وفي هذا الصباح كان متكاسلاً في حجرته، وكان قد أحضر فطوره إلى السرير.

وحوالي الساعة الحادية عشرة. رن جرس "التليفون". رفع "دانييل" السماعة، وانتظر لحظات حتى يسمع مراسله. شيء واحد كان اكيداً: إنه مطلوب من الخارج.

وها هو صوت "إيزابيل" يبدو له قريبًا جدًا:

- "دانييل" - كيف حالك، احكِ لي عن ظروفك.

لم يخف سروره، بل صاح:

- إنك لم تنسني، رائع! تكلمي، إني أعشق سماع رنين صوتك.

كانت "إيزابيل" قد ترددت كثيراً قبل أن تطلب "دانييل"، كانت ايضاً قد تساءلت، إذا كانت ستقدر على التحدث معه وكان شيئًا لم يحدث بينها وبين "توبي". وأخيراً كانت قد قررت الاتصال بعد أن علمت من والدها أنه وجد عملا لصديقها.

كانت تريد أن توافيه بنفسها بهذا الخبر، والآن ها هي تسرد له كيف قضت أيامها الأولى في "مونتريال". وكان "دانييل" لا يكف عن استجوابها، واستفسر أيضًا عن أحوال "هنري فلنيف" وحتى عن "توبي".

– إن والدي يتمتع بصحة جيدة، ولقد عمل على الحد من نشاطه، أما بالنسبة لي، فلقد بدأت التدخل في الأعمال المالية، إنها شيء فظيع، وأنت ماذا تعمل في هذه اللحظة ؟ هل وجدت عملاً ؟ هل أخذت؟

– سؤال واحد في المرة من فضلك. لقد شغلت منصبًا في كلية علوم "إيكس". هذا إلى أن أجد ما هو أفضل.

قاطعته "إيزابيل" إذ فكرت في أنه الوقت المناسب لكي تخبره بالعرض الذي سوف يقدمه له والدها خلال أيام. قالت:

– يوجد لك عمل هنا ! بالتأكيد، لقد وجد لك والدي عملاً يناسبك تماماً.

واستمع "دانييل" إلى صديقته وهي توضح له عن أي شيء تتكلم، الـ "إنتر كونتيننتال كامبني" تمتلك – عبر "كندا" كلها – مشروعات زراعية هائلة. إحدى الشركات تنتج الورق. وفي إمكان "دانييل" إدارة الورشة الواقعة في "شيكوتيمي" وهي مدينة تقع على مسافة متساوية من "كيبيك" و"مونتريال".

قبل الشاب العرض الموجه إليه، قال:

– لم أتوقع ذلك قط.

لكن "إيزابيل" شعرت بأنه مرتبك، سألته قلقة:

– هل لديك مشكلة ؟ أخبرني!

– المشكلة ليست قوية، غاية ما في الأمر، يلزمني القيام بالعديد من الإجراءات الرسمية قبل الرحيل، ولا يمكنني التوجه إلى هناك قبل أسبوع على الأقل.

وبغتة، بدا صوته رقيقًا حانياً :

– لقد افتقدتك كثيراً. كنت بالأمس بالقرب من المنزل، بهذه المناسبة لقد رحلت "أوريلي"؛ لكي تكون بالقرب منك. هل أنت على علم بذلك؟ إنها مفاجأة أرادت والدتك أن تقدمها لك.

اعترفت "إيزابيل" بدورها :

– "دانييل" لقد قضيت هذه الفترة في التفكير فينا، أعتقد أنك إذا رفضت المجيء إلينا، عليّ أن أعود إلى "أفينيون" صمتت. كانت لتساءل إذا كان من اللائق أن تتحدث عن "توبي"، ثم قررت تأجيل ذلك إلى وقت لاحق.

– أفي وسعي أن أخبر والدي بأنك موافق؟

– بالتأكيد ! سأطلبك فور إنهاء إجراءاتي، سأحاول تنفيذها بأسرع ما يمكن. هيا، هأنا أقبلك.

وانخذ "دانييل" قراره بالعودة بأسرع ما يمكن. ارتدى ملابسه، نزل السلم أربعاً بأربع، وفور بلوغه الرصيف، تقابل مع فتاة. لم يعرفها في بدء الأمر. إنها "ماريس". كانت ترتدي "بوليرو"، وجونلة مفتوحة عند الجانب. دهش لتواجدها في "أفينيون". وفي الواقع كانت قد اعتقدت أنها لن تجد الوقت للنزول إلى الجنوب قبل العودة إلى "السنغال".

– حدثت نفسي بانه من الغباء ألا أراك قبل الرحيل. هل أخطأت بالمجيء إلى هنا؟

– لقد ابتهجت لرؤيتك!

وعرض على "ماريس" قضاء اليوم معه، أخذ يوضح لها المساعي التي سوف يقوم بها قبل رحيله إلى "كندا"، حيث عُرضت عليه وظيفة مناسبة، وغفل لا إراديًا عن التحدث عن "إيزابيل". أمسكت "السنغالية" بذراعه واعترفت له بانها ستلاحقه إلى آخر العالم.

قال:

– اطمئني، سنذهب إلى المديرية من أجل جواز السفر، وباقي الإجراءات سأتممها غدا، ستكون فترة ما بعد الظهر أمامنا.

أخذ "دانييل" سيارته وجلست "ماريس" بجواره وأخذت تلاطفه، كانت تلمس عنقه كما يلاطفون القطة الصغيرة. تحدثا عن الوقت الماضي. كانت "ماريس" نادمة على عدم بقاء "دانييل" في "السنغال".

فما كان من هذه الذكريات إلا أن أثارت "دانييل"؛ لذلك طالب الفتاة بان تكف عن سرد هذه الذكريات، وأن تنسى هذه المرحلة.

– لماذا؟ لاننا أحببنا بعضنا!

– لا، ليس من أجل ذلك. إنك تعلمين جيداً ما أريد أن أتحدث عنه.

حينئذ تذكرت "فانسان كوبير" أفضل صديق لـ "دانييل"، كان قد توفي في أحد الأدغال.

كان "دانييل" و"فانسان" لا يفترقان منذ تواجدهما في كلية

الزراعة، ويشتركان في نفس المسكن، يلاطفان نفس الفتيات، كانا يتقاسمان كل شيء حتى أبسط ما يملكان. وعندما كان لابد لهما من قضاء الخدمة العسكرية، كلاهما طلب التوجه إلى "إفريقيا". ومن جديد تواجدا جنباً إلى جنب.

أيضاً تذكرت "ماريس" جيداً تلك الليلة التي تلقيا فيها الأمر بحمل خزان ماء إلى ريف بعيد في نهاية غابة.

وكان "دانييل" حينئذ قد أعد عربة نقل، لكن في اللحظة التي كان "فانسان" يدعي أنه لا داعي لأن يرافقه صديقه، وأن رجلاً بمفرده يكفي لهذه المهمة! كان "دانييل" على موعد في هذه الليلة مع "ماريس"، من أجل ذلك أقنع ذاته بما يقدمه زميله من حجج. وكان "دانييل" قد قضى ليلته مع "ماريس".

وفي الصباح الباكر عندما عاد "دانييل" إلى مسكنه دُهش لغياب "فانسان"؛ إذ لم يكن في حاجة إلى أكثر من ثلاث ساعات للذهاب والعودة. وحينئذ أقبل رسول ليخبره بموت صديقه.

كانت العربة قد وجدت في قاع مستنقع، على بعد عدة كيلو مترات من "داكار"؛ لأن بيان البحث أثبت أنه لابد من أن يكون "فانسان" قد نعس وهو ممسك بعجلة القيادة.

كان "دانييل" قد ركن سيارته في الظل ودخل إلى مقر المديرية، وكانت "ماريس" في انتظاره، تتذكر دموع "دانييل" في تلك الليلة المأساوية. وكان جثمان "فانسان" قد أحضر إلى "فرنسا" بالطائرة، لذلك وجد "دانييل" وحيداً بعد قضاء سنوات عديدة مع صديقه الوحيد، وكان أن قرر "دانييل" منذ ذلك اليوم مغادرة "السنغال" إلى

www.rewity.com

الأبد.

خرجت "ماريس" من السيارة الـ "رينو" واقتربت من نافورة. ارتوت ثم جلست على صخرة.

مكث "دانييل" ساعة في مبنى الإدارة، ثم ذهب لكي يحضر معه "ماريس". استقلا السيارة ثم توجها إلى "تيزيريا أولو" وجلسا في الشرفة.

سألت "ماريس" "دانييل" عن عمله الجديد:

- كيف حصلت على هذا العمل؟ هل تراسلت؟ علمًا بأنك أخبرتني بأنك تعمل في إحدى كليات "إيكس".

- ساعترف لك، لقد قدمت طلب عمل. ولقد عُرض علي هذا الصباح. أليس أمراً غريبًا. أم لا؟

شكت "ماريس" حينئذ في أن "دانييل" يخفي عنها شيئاً ما؛ لأنها لا تعتقد في المعجزات.

لم تشأ أن تلزمه بمنحها أسراره، ستنتظر حتى يبوح لها بما عنده كعادته.

خلع "دانييل" سترته ووضعها على ظهر مقعده، عقد منشفة حول عنقه وسأل رفيقته في مكر إذا كانت ترغب في معرفة المزيد. ولم ينتظر ردها، قال:

- لقد تغيرت حياتي منذ عودتي من "إفريقيا". لقد تحولت بمعنى أوضح، ليس لأني لست نفس الشاب؛ إنما لأني وقعت في الحب.

"ماريس" اعتبريه مزاحًا، ولكن أؤكد لك أني أحب فتاة. آه، حقًا لم أطلب يدها حتى الآن، لكن لو سنحت لي الفرصة...

ارتبكت "ماريس" لما صدر من "دانييل" من صراحة، وما بدا في لهجته من اقتناع. تقلصت عضلات وجهها. هي من نزلت إلى "أفينيون" لكي تعيش بالقرب منه! كادت أن تنهار، ولكنها تذرعت بكل ما لها من كرامة حتى لا تظهر تخاذلها، ولا تبدو متأثرة، وأن تحتفظ بمظهرها الهادئ.

لكنها تعلقت ببارقة أمل:

- إذن أنت لست واثقًا بأنها تحبك؟

- إنها هي التي أوجدت لي هذا العمل في "كندا".

أدركت "ماريس" أنها فشلت في تجربتها هذه، لقد تأخرت في مطلبها، إذ كان ينبغي لها أن تعرض عليه أن يتزوجها في "السنغال" وليس هنا، ندمت على أنها لم تدرك في حينه كم أنها أحبته، واغرورقت عيناها بالدموع التي كانت تخفيها بابتسامة مصطنعة. تناولا الغداء بكميات قليلة؛ بسبب حرارة الجو الشديدة، ثم عندما كان يتأهب لدفع الحساب، سألها:

- هل حجزت حجرة في مكان ما؟ وأم ستقضين ليلتك عندي، وافقت "ماريس" على عرض "دانييل".

*****

كان "دانييل" - بعد أن قام بالعديد من الاتصالات الهاتفية في فترة ما بعد الظهر - قد توجه إلى معرض "أرساك"؛ لكي يطلب من الرجل العجوز أن يهتم بمنزله، وبما يأتيه من مراسلات؛ لأنه كان قد سبق أن أعلمه برحيله إلى "كندا"، كما أنه كان قد صارحه بمشاعره

www.rewity.com

نحو "إيزابيل"، لكن الخبر لم يدهش الرجل العجوز بائع اللوحات؛ على الأقل كان قد استنتج أنهما جعلا الواحد للآخر. هكذا كان يؤكد.

لكن سرعان ما اختفى "دانييل" عند وصول "أمريكية" تطلب إرسال تذكار من جنوب "فرنسا" إلى ابنها.

أما عن "ماريس" فقد لحقت بـ"دانييل" في مسكنه وقت العشاء بعد أن قضت فترة ما بعد الظهر في حمام السباحة.

وصلت في الوقت الذي كان يقوم فيه بطهي الطعام وعندما سمع طرقات على الباب، لم يهتم برفع مريلة المطبخ التي كان يضعها، لكي يفتح لـ"ماريس". أدخلها وقدم لها المشهيات. في الصالون، كانت الجدران مغطاة بالمطبوعات، قامت "ماريس" بتقديرها، تعرفت إحدى قطع الأثاث عبارة عن تمثال صغير من الخشب كانت قد أهدته إلى "دانييل" عند رحيله إلى "داكار". وبعد أن رفع مريلته، جلس الشاب في مقعد ذي مساند، وصب لنفسه كوبًا من الشراب، وأضاف إليه قليلاً من الماء.

وكانت "ماريس" تراقبه أثناء قيامه بذلك. غير أنها كانت تتمنى أن توضح له - لكن هل هذا من حقها الآن؟! لماذا أخذت أول قطار لـ"أفينيون"؟

أكان في إمكانها أن تخبر هذا الشاب الذي أحب فتاة أخرى، أنها مازالت تحبه وسوف تحبه إلى الأبد؟

دُهش "دانييل" لهذا الصمت، ولتحفظ "ماريس" غير المعتاد. وسألها عن أخبار والديها، كان والدها يمتلك أراضي زراعية

شاسعة وكان يعتبر - في بلده - مميزاً. وكان له العديد من الأبناء، لكن "ماريس" كانت قرة عينه.

أجابت هذه الأخيرة عن أسئلة الشاب بعبارات مختصرة.

أنهيا مشروبهما، وكانت تأتي من الشارع إلى مسامعهما أصوات مختلفة. إنه رقص شعبي يقيمه جمهور من الشبان في ميدان الساعة "لورلوج".

اصطحب "دانييل" مدعوته إلى الشرفة، حيث جلسا على مقعدين قابلين للثني.

بعد قليل دخلا إلى الشقة وبعد أن أضاء "دانييل" الشموع جلسا أمام المائدة، كانت السعادة بادية عليهما. وحتى تلك اللحظة لم يشعر بما تعانيه "ماريس" من حزن عميق، لكن أمام المائدة لاحظ "دانييل" فجأة أن صديقته تبدو مثقلة.

- يبدو أنك حزينة يا "ماريس"، ما الأمر؟

- آه! لا شيء... لن نتقابل بعد الآن! هذا كل ما في الأمر.

- لماذا إذن؟

قالت:

- بالنسبة لك؛ لأنك ستسافر إلى "كندا" وتنساني. إنها الحياة، لقد توقفت قليلاً في حياتي، واعتبرتني كشيء مجلوب. ولست أدري إذا كنت أحببتني أم لا. على أي حال لا أهمية لذلك.

وضع "دانييل" يده على يد "ماريس"، وكان لا يرغب في تركها على هذا الحال، ثم أردف:

- لقد حصلنا على لحظات رائعة معًا، لن أنساها. غير أنها

الحقيقة. إنني لم أحبك قط... على نحو عاطفي. وهل كان ذلك ذا أهمية لك؟

- لا، أبداً". هكذا أجابت "ماريس" في اعتزاز بالنفس.

كانت "ماريس" تسعى إلى إظهار الشجاعة في لحظة الحزن العميق التي تمر بها. كانت حقًا متألمة، لكنها لا ترغب في إظهار مشاعرها.

أثنت على مواهب "دانييل" في إعداد الطعام. تناولا العشاء ثم - إذ شعرا بالتعب - رقدا، كان "دانييل" قد أعد لـ"ماريس" حجرة الأصدقاء.

وكانت "ماريس" قد اتخذت قرارها بأن تعود في اليوم التالي إلى "باريس"، وأن ترحل إلى "السنغال" في الحال. وهناك سوف تتمكن من نسيان هذا الحب العابر، وهذا الأوربي ذا السحر القوي. كيف كانت قد تخيلت أنهما سيعيشان معاً؟ ها هو اليوم، "دانييل" يحب فتاة أخرى، أو بمعنى أفضل قد تعلم كيف يحب فتاة.

*****

الفصل التاسع

كان الحزب "الكيبيكي" يعقد اجتماعا في قاعة صغيرة، حيث كانت "بيتي" قد دعت "إيزابيل".

وبعد فشل الاستفتاء على السلطة، كان أعوان حزب الأحرار "الكيبيكي" في أوج نشاطهم.

وكانت "بيتي" إبان دراستها في جامعة "تورونتو" قد انضمت إلى بعض الشبان المنتمين إلى حزب الاستقلال، كان بعضهم- وهم من المتطرفين - قد ساهموا خلال عام 1970، في اختطاف المستشار التجاري البريطاني. "جيمس كروس".

غير أن "بيتي" لم تقبل قط فكرة العنف؛ لأن والدها كان قد علمها احترام حقوق الغير، وكانت الفتاة تميل إلى السلام بكليتها.

وكانت الفتاة قد استسلمت لنسيان اهتماماتها السياسية القديمة وبعد دخولها إلى "إنتركونتنتال- كومباني"، وهي شركة تجارية تديرها جماعة ناطقة بالإنجليزية.

في عام 1974، كانت قد تقابلت في أحد "البارات" في "لانوفيل فاج" مع شاب يدعى "بيتر ريان"؛ من أجل قضية استقلال "كيبيك".

ومنذ ذلك الحين وهي تجاهد في قلب الحزب "الكيبيكي"، على الأقل عندما تجد الوقت اللازم لذلك.

وكانت قد اصطحبت "إيزابيل" إلى هذا الاجتماع.

كانت الفتاة تفضل عدم الإفصاح لوالدها. كان على "هنري" أن

www.rewity.com

يجاهد؛ لكي يُقبل في "الأبرشية" الناطقة بالإنجليزية. أما سبب فوزه في الحزب فكان ذلك بفضل لقب زوجته، سليلة الأسرة الإنجليزية القديمة.

كان حريصاً على الابتعاد عن المواجهات السياسية بين الأبرشيتين. وإذا علم أن ابنته تتردد على اجتماعات الحزب "الكيبيكي"، سوف لا يرضيه ذلك.

إذا كانت "إيزابيل" تبدو مبتسمة؛ فهذا لأنها كانت متوقعة عودة "دانييل" عن قريب. كانت تصافح الناس وتعتذر؛ لأنها لم تكوّن فكرة راسخة حتى الآن عن الاستقلال، وكان أغلب الحاضرين لا يتجاوزون الثلاثين من العمر، كان الرجال ملتحين وذوي شعر طويل. أما عن النساء، فكن يشبهن بغرابة المطربة "بولين جوليان".

بالإجماع لقد سرّت "إيزابيل" بهذا الحفل. وعندما استعد الخطيب، التف الجميع من حوله. كانوا يصغون إليه في احترام، وكانت "إيزابيل" قد قبلت هذه الدعوة من باب اللياقة أكثر من أن يكون عن اقتناع؛ لأن "دانييل" وحده كان هو الذي يشغل فكرها.

وهل تدين نفسها على هذه الأنانية بعدم الاهتمام بقضية أولئك المجتمعين؟ هذا بالإضافة إلى أنها كانت لا تستمع إلى عظات هذا المبشر، كانت تصغي إليه، كلما كفت عن التفكير في "دانييل".

ثم بعد أن انتهى الشاب من الكلام، حاول إثارة النقض بين المشتركين في الاجتماع.

ثم ساد الصمت في القاعة وإذا - بعد قليل - بصوت شاب يرتفع من بين الجمع؛ يناشد المجلس:

- هل سنكتفي بإلقاء الأحاديث أكثر من ذلك؟ هل نحن عاجزون عن تحديد مصيرنا بأيدينا؟ أجيبوني!.

حينئذ غمغمت "بيتي"، هامسة إلى "إيزابيل":

- إنه يكرر نفس الشيء دائماً، ولا يحصل أبداً على إجابة.

فاردفت "إيزابيل":

- بل أعتقد أن المتحدث- هو أيضاً - يكرر نفس القصص. أليس كذلك؟

شعرت "بيتي" بما تحويه هذه الملاحظة من سخرية وترددت قليلاً ثم قالت:

- إننا جميعاً في حاجة إلى وضع ثقتنا بـ شيء ما. إن الاستقلال بالنسبة لنا أمر مهم، ولكن بالنسبة لك، أنت فلست قادرة على تفهم الموقف بعد. انتظري قليلاً وبعد إقامتك لفترة أطول من ذلك في "كيبيك"، سوف يكون لك رأي.

بدأ الجمع يملّ؛ ولذلك رفع المتحدث الجلسة.

وفرغت القاعة من المجتمعين وسط هرج شديد، بينما كانت بعض المجموعات تتكون على الرصيف.

كانت ليلة دافئة؛ لذلك قررت "إيزابيل" القيام بنزهة بصحبة "بيتي" في حي "مونتريال الفرنسي".

تجولتا لبضع دقائق في شارع "سانت كاترين"، ثم دخلتا إلى مقهى، طلبتا شرابًا واثنين من "السوسيس" المقلي، أشعلت "بيتي" سيجارة. غير أن "إيزابيل" لم تجد الفرصة حتى الآن لكي تخبر رفيقتها بوصول "دانييل". كان هناك ما يحزنها.

ألم يقترح "توبي" على "هنري فلنيف" إيفاد "دانييل" على بعد أكثر من مائة كيلو متر من "مونتريال"؟ صارحت "بيتي" بكل ذلك.

- أما لاحظت حتى الآن أن "توبي" يسعى إلى التقرب منك؟

- آه! أنت تعلمين أنه تصرف معي كما يتصرف مع أي فتاة!

وهكذا قالت "بيتي":

- إنك تخطئين في حكمك هذا؛ "توبي" لا يسحر سوى الفتيات اللاتي يستفيد منهن... ولي علم بذلك!

أبدت "إيزابيل" دهشتها لذلك، وقالت:

- وفيم أستطيع أن أكون نافعة له؟ إنه يتمتع بكل ما يتطلع إليه. إنه محظوظ!

- سبق أن أخبرتك أن "توبي" طموح بلا حدود. إنك الوريثة الوحيدة لثروة هائلة. وهو يعلم ذلك ولن يسمح لغيره بأن يسبقه إلى ذلك.

- سبق لـ "إيزابيل" أن لاحظت أن "بيتي" لا تقدر "توبي"، لكن في هذه المرة شعرت بأنها تمادت قليلاً، شعرت بشيء من توقع الأحداث قبل صدورها في لهجة "بيتي".

- هل كان بينك وبين "توبي" أي علاقة؟

كانت "بيتي" قد تزوجت بأحد الشبان الصحفيين. وعن طريقه كانت قد تعرفت بـ"توبي" الذي كان في هذه الفترة ينهي دراسة القانون، ويرغب في الانغماس في الأعمال الحرة، وكان زوجها كثير الأسفار ويتركها بمفردها. حينئذ بدأ "توبي" مغازلتها. وبسرعة توسل إليها كي تلحقه بالشركة: شركة "I.C.C". وفي النهاية

توصلت إلى إلحاقه بالشئون القانونية للشركة.

كانت "إيزابيل"، تنصت إلى "بيتي" بكل اهتمام، وكانت هذه الأخيرة تواصل سرد صلتها بـ"توبي":

- وفي النهاية أصبحت سيدته، أما بالنسبة لزوجي فقد طلب الطلاق فور إحاطته علمًا بالأمر. وحصل عليه.... بذلك أصبحت وحيدة... بعد ذلك تخلى "توبي" عني تماماً؛ لأني أصبحت غير نافعة له. هل أدركت الآن؟ لماذا أنصحك بعدم وضع ثقتك به؟

وإذا حاول صديقك العمل على زعزعة موقفه في الشركة، فسيبذل أقصى جهده لكي يقطع عليه الطريق... وهو كفيل بذلك؛ لأن لديه الوسائل اللازمة.

ثم صمتت "بيتي"، وكانت "إيزابيل" تفكر في اعتراف الفتاة. لقد لاطفها "توبي" لمجرد الحصول على وسيلة إضافية للنجاح. ورقة رابحة في لعبته! ومن البديهي أنها إذا كانت قد تعاطفت معه، أو استسلمت لإغرائه، لطلبها للزواج، حتى يحصل على لقب أهم من مستشار خاص، وبذلك يصبح صهر الرئيس. وكانت كل هذه الأفكار تثير تقزز "إيزابيل". لقد استنتجت ما تدور حوله تلميحات الفتاة.

أقبل الخادم حاملاً المشروب والأكل. انتهزت "بيتي" هذه الفرصة حتى تخرج "إيزابيل" من تأملاتها، وقالت مبتسمة:

- يجب أن نتناوله حتى لا يبرد!

- آسفة! كنت أفكر فيما علمته منك... لقد أفقدتني الشهية! وأخذت "إيزابيل" ترشف الشراب ببطء. مشروب ملطف! وكان رواد المقهى في حركة دائمة. حتى أنه أحيانًا كان يقترب منهما

www.rewity.com

رجل ثمل عارضًا عليهما نزهة على شواطئ "سان لوران"، ثم كان ينصرف ولا يلح في طلبه. مهما كان مستواه الاجتماعي.

كان يتظاهر بأنه أفاق ثم يعود إلى الهذيان. وهكذا استمرت هذه الحركة إلى أن أعياه الشراب، وأصبح غير قادر على الحركة.

وكم كان تأثر "بيتي" بهذا المشهد:

– إن أولئك الثملين ينفقون نصف دخلهم على احتساء الشراب والباقي في الإنفاق على الأسرة!

– أعتقد أني مضطرة إلى الذهاب إلى فراشي؛ لأني سمعت ما فيه الكفاية لهذا المساء!

اصطحبت "بيتي" "إيزابيل" إلى سيارتها:

– إن والدك يدللك. سيارة "موريس" "morris"! رائعة!

ولما كانت "إيزابيل" قد اعتادت التجول في "مونتريال" أنزلت "بيتي" عند منزلها، كان منزلها يطل على حديقة عامة. في الطابق السفلي وكان هناك أيضاً مطعم "تايلاندي" ومحل زهور.

سألت "بيتي" "إيزابيل" إذا كانت ترغب في الصعود لتناول الشاي. شكرتها "إيزابيل" وانطلقت بسيارتها مع أزيز عجلاتها الجديدة.

إنها شبه واثقة بأن والدها على اتفاق مع "توبي".

كانت تشك في أن "هنري فلنيف" يرغب في الإلقاء بها بين ذراعي المستشار الخاص؛ لذا قررت أن تعرف المزيد عن الموضوع في اليوم التالي. لن تستسلم مادام "دانييل" سوف يأتي إلى "مونتريال"، لن تقبل أن تُستخدم في مشروعات تدبر بدونها.

الفصل العاشر

كان جو حار يسود "مونتريال". لقد أقبل فصل الصيف بغتة. لم يكن أفضل من جو الـ "بروفانس".

أوقفت "إيزابيل" سيارتها عند ميدان "بونامنتير".

كانت العمارة التي بها شركة "I.C.C" في شارع ملحق بهذا الميدان، يطل على جزيرة "مونتريال"، التي هي قلب المدينة. وكان من الممكن مشاهدة الـ "مون رويال" بوضوح من نوافذ الشركة.

كانت "إيزابيل" قد قررت أن تتناول الغداء مع والدها، وأن تطوف بالمدينة، وتزور دير "سان سبليس". وهو مبنى موضع تقدير من "الكيبيكيين" الفرنسيين؛ لأنه يرجع إلى عصر غزو "كندا".

وها هم الكنديون يعيشون اليوم عصر النهضة. وهذا ما حاولت "بيتي" الإشارة إليه بوضوح لـ "إيزابيل".

وكانت الفتاة تواصل استفسارها عن تاريخ أولئك الفرنسيين.

كان أولئك الفرنسيون – من كانت "فرنسا" قد باعتهم إلى البريطانيين، قبل الوصول إلى "كيبيك" – لا يحركون مشاعرها البتة.

ثم صعدت إلى شارع "سانت كاترين". شعرت بالضيق من هذه الحرارة، كما أن حذاءها قد تسبب لها في تورم كعبيها. وبينما كانت تسير بطول شارع "مونتريال" التجاري في تراخ، إذا بموكب من الهنود الجبليين يبدو أمامها.

كانت "إيزابيل" في فجر شبابها قد قرأت كتاب "فنيمور كوبر". "آخر آل موهيكان"، لكنها كانت قد غفلت عن أنه مازال

www.rewity.com

يوجد هنود في "كندا".

اقتربت من أحدهم بدافع من الفضول لكي تستجوبه، وكان وافداً من مقاطعة "ساجيناي" ويسكن "شيكوتيمي" وهي بالتحديد المدينة التي سوف يُوفد إليها "دانييل".

وإن كانت "إيزابيل" قد شاهدت هذا المنظر في السينما، إلا أنها لم تتواجد قط في حضرة "هندي" بلحمه وعظامه.

استفسرت عن سبب هذه المظاهرة. ابتسم الهندي في مودّة وأجاب الفتاة:

– إننا نطالب بحق الحفاظ على عاداتنا الموروثة عن الأجداد وألا نعتبر كمواطنين من الدرجة الثانية. صدقيني نعتبر، فصعب جداً أن تُسمع أصواتنا.

ثم اعتذر الهندي عن عدم إمكانية التحدث معها أطول من ذلك؛ لأنه كان لابد له من أن يلحق بالموكب. ثم قال لها كلمة أخيرة وهي أنها إذا كانت ترى أن مشاكلهم تهمها، ففي الحي الفرنسي العديد من شباب قبيلته. وأسرع في منحها العنوان، ثم انصرف.

كم كان سرور "إيزابيل" لهذا اللقاء الغير المتوقع؛ هذا لأنها لم تجد قبل ذلك – منذ وصولها إلى "مونتريال" – فرصة الاتصال ببعض الغرباء – باستثناء – بالتأكيد – من يترددون على والديها.. على سبيل المثال العجوز السيدة "ويلدوكس" "الساحرة كما كانت تدعوها "دوروثيه".

وعندما شعرت "إيزابيل" بالتعب، دخلت أحد بيوت الشاي "تي روم"، وطلبت قطعة كبيرة من الكيك. ستكتفي بتناولها. كان

والدها ينتظرها في الساعة الثانية عشرة والنصف في مكتبه. ولم يبق لها الوقت الكافي لتذوق هذه الفطائر.

وصلت "إيزابيل" في الموعد المحدد إلى مقر سكرتارية مكتب والدها. طلبت منها الآنسة "ويستربى" – من ستكون شريكة "هنري فلنيف" في العمل – أن تتمهل قليلاً.

ثم بعد عدة دقائق من الانتظار، أدخلتها إلى مكتب "هنري فلنيف" وأغلقت خلفها الباب.

كان والد "إيزابيل" يبدو مهموماً، متعباً.

كان قد فك رباط عنقه، وخلع سترته، ثم دون أن ينظر إلى ابنته، دعاها إلى الجلوس.

وكان يرغب في تبديل بذلته قبل تناول وجبة الغداء، فولج إلى الحجرة الملحقة بالمكتب – وأثناء ما كان يرتدي بذلة كاملة جديدة – تحدث مع ابنته:

– أنا لست راضيًا عنك يا عزيزتي، لقد ارتكبت حماقة مساء أمس، بتوجهك إلى هذا الاجتماع. اتبعي مشورتي، وابتعدي عن هذه الفئة. إنهم لن يفيدوك شيئاً. إنهم يدعون المثالية، ولا يرتكزون على أرض صلبة.

تساءلت "إيزابيل" عمن قد أفشى سرها، فكرت في "بيتي"

– من أخبرك بمكان تواجدي بالأمس ؟ هل كلفت مخبراً خاصاً بتتبع خطواتي؟

بدا "هنري فلنيف" في بذلة بلون كحلي. لم يجب عن أسئلة ابنته. كررتها. تملص منها:

– هيا، أسرعي! لقد حجزت مائدة وإني أمقت التاخير.

وأمسك بيد "إيزابيل" وقادها نحو المصعد، وكانت السيارة "الليموزين" في انتظاره في الجراج. فُتحت لهما الأبواب. دخلا واستقرا في الداخل.

حينئذ فقط أردف "هنري":

– علمت ذلك... عندما قرأت الجريدة!

في بدء الأمر ظنتها مداعبة. لكنها فهمت عندما مد لها والدها يده بمقال لـ "بيتر ريان".

هذا الأخير قد ذكر في مقاله أن ابنة أحد العظماء، وهو يعتبر قطبًا في عالم المال كانت قد حضرت ! وكان اسم "إيزابيل" واضحاً أعلى المقال بحروف ضخمة.

وجدت الفتاة بعد تفكير أن الأمر مسلٍّ. لم يكن – ظاهريًا – رأي والدها الذي لم يكفّ عن الاتصالات الهاتفية طوال الفترة الصباحية. وأغلب شركائه الممولين أشاروا عليه بالا تتقرب ابنته مستقبلاً من هذا النوع من النشاط.

أردف الأب بلهجة قاسية:

– عليك ألا يتكرر ذلك، مفهوم ؟ لقد عانيت كثيراً إلى أن وصلت إلى هذا الوضع، ولن أدعكِ تفسدين لي كل شيء. كفى تصرفات صبيانية!

كان لنبرات السيد "هنري" وقع الدوش البارد على "إيزابيل" التي عجزت عن الدفاع عن نفسها. كانت غير مدركة مدى اعتبار ذلك جريمة، أن تحضر اجتماعًا سياسيا شرعيا. فما كان منها إلا أن

اعترضت؛ لأنه لم يصدر منها أي خطأ.

– لماذا تعنفني على هذا النحو ؟ هل أقللت من كرامتك باشتراكي في اجتماع بعض شبان أجهل نوعية أنشطتهم؟

ثم ندم "هنري" على اندفاعه هذا. وكان ينبغي أن يوضح لابنته أن في الشركة التي يديرها بعض الأمور غير اللائقة للتنفيذ، ولا للذكر.

وعندما رأى أن ابنته انطوت على نفسها، أمسك بيدها واعتذر لها عن اندفاعه هذا:

– لقد عنفتك يا بنتي، على غير قصد. سامحيني يا صغيرتي.

توقفت الـ "مرسيدس" أمام مطعم فاخر، نزل السائق لكي يفتح أبواب السيارة.

تأبط "هنري" ذراع ابنته ودخل إلى المبنى. فاقبل إليهما رئيس الطاقم وقادهما إلى مائدتهما، ثم نادى مسؤول حجرة حفظ الملابس؛ لكي يساعد "إيزابيل" على خلع سترتها.

ألقى نظرة على قائمة الطعام، لم تتمكن "إيزابيل" من الاختيار، طلبت من والدها أن يختار لها. أعطى السيد "هنري" الطلب معترفاً لابنته بانه يفخر بانها بمثل هذا الجمال وفي هذه الأناقة، ثم ذكر بعد ذلك وصول "دانييل" صارح "إيزابيل" بفكرة راودته:

– هذا هو الأمر. إنه معقد... في النهاية لا يصعب ذكره وخلال خمسة عشر يوماً ساعمل على تخفيض نسبة نشاطي. لقد حذرني طبيبي الخاص من تعرضي لأزمة قوية إذا ما واصلت جهودي. اخيراً، يجب أن – سواء رغبت في ذلك أم لا – تكوني فريقًا مع "توبي"، وعليك بالتعاون معه.

www.rewity.com

كان يراقب ردود الفعل عند ابنته، وتأهب للدخول في صميم الموضوع عندما هاجمته "إيزابيل":

– أما بشأن "توبي"، أرى أنه لا يليق به أن يعمل جاهداً على إبعاد "دانييل" من "مونتريال". إنه يتصرف وكأن له سلطاناً عليّ؟. خلاصة الكلام. إنه مثير!

كان "هنري" يعرف طبع ابنته المندفع، تماثل لمرور العاصفة، انتظر إلى أن هدأت، خشي أن تتسبب له في مقلب آخر؛ لقد أصبح حذراً. لقد اعتاد أخطاء ابنته منذ وصولها إلى "مونتريال"، وكذلك مزاجها المتقلب وسخريتها.

قال لها:

– لقد اهتم "توبي" شخصياً بإيجاد عمل لـ "دانييل"، من جانب آخر لا يمكنك أن تلوميه على عنايته بك. إنك ابنتي لا تغفلي عن ذلك.

لاحظت "إيزابيل" أن "توبي" تصرف لكي يبعد "دانييل" عن "مونتريال"؛ لذلك أرادت تقييم ردود الفعل لدى والدها، وأعلنت بفظاظة:

– لا يهمك أنه حاول ملاحقتي ذات مساء.

انطلق "هنري" في الضحك لقد منحته السماء فتاة خارقة.

تظاهر بالقلق وسألها:

– آه! احكي لي، ماذا فعل لك "توبي"؟

– لقد رفع جونلتي، وعض أذني... بل حاول أن يقبلني... في عنقي! وإن لم أكن رفضته لتمادى...

قطب "هنري" حاجبيه. أما "إيزابيل" فقد أنذرته:

– إن لم يكف عن اعتبار نفسه "دون جوان"، فساعود إلى "فرنسا"!.

اقتنع "هنري" أنه لا يستطيع منذ ذلك اليوم أن يطالب ابنته بأن تكون لطيفة مع "توبي". وبدأ يعتبر "دانييل" عنصر يتسبب في الضيق، لذلك عزم على ترتيب الأمور فور وصول الشاب.

أنهى وجبته بسرعة، واستأذن "إيزابيل" لأنه اضطر إلى تركها فجأة على هذا النحو. لأن لديه موعداً مهمًّا كاد أن يغفل عنه!، ثم اقترح على الفتاة أن تقوم بزيارة متاحف المدينة.

كان موظفو الـ ".I.C.C" قد انتهوا من تناول وجبتهم بخدمة أنفسهم في مطعم الشركة، بينما السيد "فلنيف" دخل إلى مقر "السكرتارية" وهو يصدر أوامر غير مفهومة.

دعا الآنسة "ويستربي"؛ لكي تتبعه إلى مكتبه. ألقى بسترته على المقعد، جلس وطلب من زميلته أن تنادي "توبي" في الحال.

– إني أريد أن أراه في أقل من ربع ساعة!

استبعدها في الحال ولكي يهدئ من روعه، أحضر لنفسه مشروباً. وإذا بصبي متهور يدخل دون أن يقرع الباب للاستئذان. كان يحضر الصحف. طرده "هنري" وهو يصيح ويقذفه بشتائم.

عندما وجد "توبي" أن رئيسه في غاية الضيق تقدم نحوه في حذر. كانت الآنسة "ويستربي" قد أخطرته. لكنه لم يكن متوقعاً مثل هذا الانهيار.

أسرع "هنري" باستدعاء مستشاره الخاص:

– اسمعني يا صديقي، لقد أفسدت كل شيء بحركاتك الغبية

التي قمت بها بيديك! ما الذي دهاك عندما تصرفت على هذا النحو مع ابنتي ؟ هل تعتبر نفسك غير قابل للمقاومة ؟!

اعترض "توبي" ؛ كانت هناك مبالغة فيما نُقل إلى رئيسه. لم يسئ التصرف مع "إيزابيل"، ولم يتجاوز الحدود المسموح بها.

هدأ "هنري". لأنه عرف أنه مسؤول جزئياً عما حدث.

وما كان يلوم مستشاره عليه، هو أنه لم يعرف كيف يغزو قلب "إيزابيل".

أردف مرة أخرى:

- أعتقد يا سيد "فلنيف" أن ابنتك تحب هذا الـ "دانييل"، كما أني أتساءل عن الفكرة التي جعلتنا نستدعيه إلى "مونتريال" بهذه السرعة. أعترف بأني تسرعت في التصرف، ولكن "إيزابيل" تعجبني كثيراً. وأعترف بأني كدت أفقد عقلي تلك الليلة التي تواجدت فيها بالقرب منها.

غير أن "هنري فلنيف" كان قد تعلم ألا يضع ثقته بـ شريكه، كان يعرف ذلك بدون أدنى الشكوك للوصول إلى أهدافه. وحقًا كان "توبي" شريكًا جيداً.

وخلاصة القول، طلب "هنري فلنيف" ببساطة من "توبي" أن يتصرف في المستقبل بتحفظ ولباقة، بقدر ما كان "دانييل" موشكاً أن يصل.

كان الشاب قد أجرى اتصالاً مع "توبي" ؛ لكي يخبره بأنه سيصل مع الرحلة رقم 756 على طيران "T.W.A." لأن الطائرة سوف تهبط في مطار "مونتريال" الدولي، يوم الخميس. أي في اليوم التالي.

الفصل الحادي عشر

عجزت "إيزابيل" عن إخفاء سرورها عندما أعلن لها والدها وصول "دانييل". كان الشاب يرغب في مفاجاتها. كان قد أرسل لها برقية يخبرها فيها بأنه سيصل قريباً إلى "كندا"، ولم يرغب في تحديد التاريخ.

حينئذ قبلت الفتاة والدها وتوسلت إليه كي يتم استقبال "دانييل" في مسكنهم. وقبل "هنري" طلبها.

استيقظت الفتاة يوم وصول "دانييل" منذ الفجر، وأعدّت بنفسها حجرة صديقها، من فرط حماسها فقدت شهيتها للأكل، كان فطورها في هذا الصباح عبارة عن "الحب والأمل".

كان موعد هبوط الطائرة التي تقل الشاب هو الساعة السابعة عشرة. سوف تذهب للقائه وتصطحبه إلى المنزل بنفسها. ووالداها سيعدان عشاءً فاخراً لأن "دانييل" ليس مدعوًّا عاديا.

وحوالي الساعة السادسة عشرة، أخذت سيارتها وتوجهت إلى مطار "ميرابيل". ولم تكف طوال الرحلة عن الدندنة في سيارتها الـ "موريس".

أوقفت سيارتها فجأة أمام المطار.

أسرعت إلى القاعة، كانت حريصة على مشاهدة الطائرة أثناء هبوطها. تطلعت إلى اللافتات الكهربائية، معلنة وصول طائرات "T.W.A." عليالتوالي. وسألت إحدى المضيفات عن الباب الذي سينتظر أمامه صديقها، وأسرعت إلى المكان المعلن عنه. وعندما طال

انتظارها بدأت "إيزابيل" تعاني حالة عصبية.

فجأة أعلن وصول طائرة "دانييل".

وصل "دانييل وكان في بذلة من الترجال "البيج"، وبيده حقيبة سفر صغيرة.

وقفت "إيزابيل" أشبه بإنسان دهشة، اقترب منها "دانييل" وضمها بين ذراعيه، تبادلا قبلات حارة.

وكانت "إيزابيل" أول من ابتعدت. وها هو، وحزنها، وعصبيتها قد تبدد: دعت صديقها إلى اتباعها، موجهة إليه عتاباً رقيقاً. لأنه لم يخبرها هي شخصيًّا.

قال:

- كنت أرغب في أن تكون مفاجأة لك، ثم لقد كنت على علم بان "توبي" سيوافيك بالخبر عقب اتصالنا الهاتفي. والإجراءات تمت باسرع مما كنت أتوقع. أخيراً هانذا... لم تبد الرحلة متعبة...

وراح "دانييل" يسرد بالتفصيل إلى "إيزابيل" ما كان عليه القيام به في "أفينيون" قبل حجز مكانه في الطائرة على خطوط "T.W.A." وهكذا سار الصديقان متشابكي الأيدي على أرض المطار.

ومن حولهما كان أحد مرافقي الرحلة المنظمة يبدو كمن يجمع خرافه الشاردة. كان يواصل النداء وهذا المشهد أسعدهما و(سرَّهما). للحظات.

وأخيراً خرجا من المطار ووصلا إلى سيارة "إيزابيل". قام "دانييل" بتحيتها، وتقديم شكره على اهتمامها. وضع حقيبته على الأريكة

الخلفية وأغلق الباب، أما "إيزابيل" فقد جلست أمام عجلة القيادة، معلنة له أنه سيقيم عند والديها حتى رحيله إلى "شيكوتيمي".

*****

بدا الحرج على "دانييل" في بدء الأمر، وصارح "إيزابيل" بذلك فهرت كتفيها، وألحت. كان من واجب "دانييل" أن يقبل ضيافة "فليف" له.

واخيرا وافق، معتبرا هذا الموقف حساساً إلى حد ما؛ لأن والديّ "إيزابيل" لا يعرفانه، وكانا قد نحاه - وهو طفل- حول المنزل المنعزل، لكنهما كانا قد نسياه. طمأنته "إيزابيل".

وحتى تنهي الجدال، دعته إلى النظر حوله، إلى منظر "مونتريال"، إذ إن "إيزابيل" على الرغم من أنها وفدت قريباً إلى هذا البلد، إلا أنها كانت تشعر نحوه بحنين قوي.

قد عطل ازدحام المرور الدخول إلى "مونتريال". وكان ذلك بسبب انقلاب سيارة نقل على الطريق، كانت تحمل مخلفات سامة. اعتبر "دانييل" هذا الحدث جريمة؛ لأن مثل هذه الأحداث قد تؤدي إلى وفاة جمهور باكمله، اتهم بعض رجال الصناعة.

ولما كانت "إيزابيل" مصغية إلى صديقها باهتمام، لمحت فجاة انه ليس معه سوى حقيبة سفر صغيرة.

سالته:

- الا تنوي البقاء في "كندا" لفترة طويلة؟

- آه! تقصدين الحقيبة الصغيرة ؟ لا، لا تقلقي. لقد أحضرت

ثلاث حقائب أخرى ستأتي على التوالي." ترى هل هي حقيقة، أم أنه سوف يرحل بعد بضعة أيام؟!

تنهدت "إيزابيل" بعد أن اطمأنت. كانا قد أوشكا على الدخول إلى الحي الإنجليزي. اقتربا من مسكن "فلنيف". صعدت "إيزابيل" إلى الرصيف، وركنت سيارتها.

أطلقت منبه السيارة.

وإذا بـ "دوروثيه" تبدو على المدخل، رفعت يدها؛ لكي تحجب ضوء الشمس. فلمحت "إيزابيل" و"دانييل" - يخرجان من السيارة، نادت أحد الخدم وأمرته بالاهتمام بأمتعة ضيفهم.

أخبرت "إيزابيل" والدتها بأن حقائب "دانييل" سوف تصل عن قريب.

وكان الشابان قد لحقا بـ "دوروثيه" على المدخل، وقامت "إيزابيل" بعملية التقديم.

- أمي، ها هو "دانييل"! ألا تذكرينه؟ كان يتردد علي منزلنا المنعزل، لقد سبق أن تناول الوجبة الخفيفة عدة مرات عندنا.

اعتذرت السيدة "دوروثيه"، وإن كانت لا تعرف هذا الشاب، إلا أنها وجدته جذابًا، ودعته إلى الدخول. كانت قد أعدت وجبة سريعة، ثم دخلوا إلى "الصالون".

وفي الوقت الذي كان "دانييل" يبدو محرجًا بعض الشيء، كانت والدة صديقته تبدو في غاية الرقة... كان يعتبر ذاته دخيلاً، لذلك كان لا يعرف من أين يبدأ حديثه معهم. كانت "إيزابيل" قد اختفت تاركة إياه لحظة. تواجد بمفرده مع "دوروثيه"، انتهزت هذه الأخيرة

الفرصة لكي تستجوبه.

- ما الذي دفعك إلى المجيء إلى "كيبك"؟

- "إيزابيل" بالتأكيد! كنت غير متوقعة رداً آخر. أليس كذلك؟

- إني أقدر الصراحة. إنها فضيلة تمتدح ولا يعوضها شيء؛ لذلك أعتقد أنه من الممكن وضع الثقة بك.

عندئذ لحقت بهما "إيزابيل" وكانت قد ارتدت بنطلوناً من الكتان، واستسلمت للجلوس في أحد المقاعد والتفتت نحو أمها:

- ماذا كنت تقولين؟ أرجو ألا تكوني قد تسببت في مضايقة "دانييل"! يجب أن نترك الوقت الكافي للراحة عقب وصوله!

أردفت "دوروثيه":

- كنت أرغب في أن أعرف ببساطة، إذا كان "دانييل" قد أتى إلى "كندا" من أجلك.

سألت "إيزابيل":

- وبعد؟

- إذن، فقد أتى من أجلك.

نهضت "دوروثيه"، استأذنت. كان عليها أن تتغيب ساعة؟ أو ساعتين. إنها جولة خيرية مع الراعي. كانت تأسف لعدم الاهتمام الكافي بالفقراء، في بلد يعيش فيه أغلبية الناس في رغد من العيش.

انتصب "دانييل" وقام بتحية السيدة "فلنيف"، قد يتواجدون للعشاء.

وعندما انصرفت أمها، عرضت "إيزابيل" على صديقها أن تريه حجرته، وبعد ذلك أن تجعله يزور المنزل والحديقة.

اصطحبت "دانييل" إلى الطابق العلوي. وأثناء صعودهما شاهد جدران السلم مغطاة بالعديد من اللوحات التي تمثل مشاهد الصيد، وأعلى السلم على آخر لوحة، كانت مجموعة من الكلاب تحيط بظبي وتلاحقه بالنباح، والصيادون يقتلونه.

كانت الحجرة المخصصة لـ "دانييل" فسيحة، ذات أثاث فاخر، مليئة "بالتبلوهات". صارح "دانييل" "إيزابيل" بانه لم تسبق له الإقامة في مكان بمثل هذا الترف. وضع حقيبته الصغيرة على مائدة مستديرة جميلة من الخشب المطلي، وخلع سترته.

وفي غمرة سرورها، دعته "إيزابيل" في الحال إلى نزهة في الحديقة. نزلا السلالم، اخترقا الـ"أوفيس" وتواجدا تحت الأشجار.

أمسكت الفتاة بذراع الشاب وقادته إلى الجناح الذي يشغله طاقم العمل، وكم كان إعجاب "دانييل" به.

سألها:

- من الذي يهتم بكل مسطحات الزهور هذه؟ يهذبها وينتزع منها الحشائش؟

أجابته الفتاة:

- عندنا بستاني.

بدا الارتباك على "دانييل" عند مشاهدته لعظمة هذه الأماكن، وتذكر حينئذ رأي "دوروثيه" وتعليقها على الناس الفقراء. كلاهما جلسا على العشب، ظنت "إيزابيل" أن صديقها يشعر بالضيق.

- ماذا بك؟ ألست على ما يرام؟ هل هناك ما يبعث إلى نفسك بالضيق؟

تردد للحظات ثم قال:

- يبدو أنه كان لا داعي لمجيئي إلى "كندا" يا "إيزابيل".

- هل أنت مجنون؟!، لماذا إذن؟

- إن والديك ثريان أكثر مما كنت أظن. وتواجدي هنا كأنه لعطف، لأني صديقك... لا شك في أن ذلك

يبعث إلى نفسي الضيق. هأنا أتخيل كلام الناس عني.

قاطعته "إيزابيل" في جفاف:

- منذ متى تهتم بالأقاويل يا "دانييل"؟ إنك ضيفي. هل يسوؤك أن تكون ضيفي؟

- افهمي، ليس الأمر بمثل هذه البساطة. إني ضيفك. اتفقنا! لكن، لقد أوجدوا لي هذا العمل بناءً على إلحاحك. أتعلمين أن والدي غير موسرين، وما وصلت إليه حتى الآن فهو فقط بمجهودي.

كانت "إيزابيل" تستمع في ارتباك. ومنذ لقائهما كانت تصرفاتها لا تتجاوز تصرفات طفلة. تحققت من أن الحياة تبتسم لها، إنها لم تعرف التجارب...

وكان "دانييل" يواصل كلامه:

- لقد أتيت إلى هنا من أجلك، ولكن إذا وجدت أني لست على مستوى المسؤولية مع العمل الذي سوف أكلف به فسأرحل ويجب أن تعلمي ذلك. أنا لا أرغب في أن أكون مثل شخص متميز!.

نهض "دانييل"، طلب من "إيزابيل" أن تتركه بمفرده، وولج إلى حجرته وقد بدا منقبضًا.

عندما عاد "هنري"، كان متشوقًا لرؤية هذا الشاب الذي عقد له

حياته، والذي افسد له مشروعاته. كانت المائدة قد أعدت، ولكن "دانييل" كعادته لم يحضر.

فما كان من "إيزابيل" إلا سرد المبررات. لقد خرج للنزهة ولن يتأخر، من يدري ربما ضل الطريق وبالتأكيد سوف يتسبب الشاب في القلق لوالدي "إيزابيل".

كانت الفتاة قد صعدت إلى حجرة صديقها، وتأكدت من غيابه. وكانت لا تستطيع أن تحكي إلى والدها ما قاله لها "دانييل".

ازداد قلقها. ما معنى اختفاء صديقها؟... ما الذي حدث؟ لكن "هنري فلنيف" كان يخفي قلقه، وضيقه.

"دوروثيه" و"إيزابيل" كانتا تتبادلان النظرات. وكانت الساعات تمر، وبدأت العاصفة تشتد. كان صوت الرعد يسمع من بعيد، لكن في الوقت الذي كانت الأسرة تعاني من الضيق، اهتز الباب من الطرق، وأسرع الخادم لكي يفتح. إنه "دانييل" الذي لم يلمح الجرس، فقرع الباب بقبضة يده.

أتت "إيزابيل" إلى لقائه، ومن خلفها والدها، ووضح على الشاب أن المطر فاجأه، وأنه تعب كثيراً في العودة، وأنه مر عدة مرات أمام المنزل دون أن يعرفه. جدد اعتذاره.

وأمسك "هنري فلنيف" بذراعه في ألفة.

قال له بلهجة مرحة:

- لقد بعثت بالخوف إلى نفوسنا يا صديقي. لا تنس أننا في حاجة إليك في "شيكوتيمي".

قال هذا ونصح ضيفه بخلع ملابسه المبتلة. وضحت "إيزابيل"

لوالدها أنه لم يحضر معه ملابس حتى يبدل ما عليه، وبأن حقائبه سوف تصل غداً.

- إذن، أعطه الآن واحدة من بذلي! أعلم أن صديقك نحيف، سنتصرف على أي حال ما يناسبه. اذهبي أنت أيضاً وبدلي ملابسك.

صعدت "إيزابيل"، و"دانييل" السلم أربع درجات بأربع واختفيا في الطابق العلوي.

وما هي إلا دقائق وإذا بالجميع حول المائدة. كان "دانييل" في ردائه الواسع يحاول أن يبدو في ارتياح، وكان الطعام لذيذاً.

سواء كان ذلك لأن لـ "دانييل" أثراً لديه، أم أنه أمر مدروس. أظهر "هنري" كل مودة نحو "دانييل" صديق "إيزابيل".

كان فيما مضى - هو ذاته - قد تجول في "إفريقيا" في فترة الاستعمار الفرنسي، وجددت "السنغال" عنده خاصة ذكريات عديدة، لا يليق سرد بعضها في حضرة السيدتين.

لاحظ أن "دانييل" يبدو لطيفاً معه، الأمر الذي طمأنه. وقد لا يحتاج إلى الوسائل الكبرى التي كان يعتزم استخدامها.

وكان "توبي" في الواقع قد استخدم أسوأ الخطط والوسائل، لكي يسيء إلى سمعة "دانييل" في عيني "إيزابيل".

حتى أنه كان قد اتصل بالسفارة الفرنسية في "السنغال" للحصول على معلومات عن الشاب. وإن كانت الفكرة سيئة من وجهة نظر "هنري"، إلا إنه في النهاية قبلها.

أما "دوروثيه" التي كانت صامتة حتى هذه اللحظة، فقد أعلنت لـ

"دانييل" أنها قلقة على مستقبل القارة الإفريقية ، و السبب في ذلك هو عدم تقبل الشعوب للديانة "الإنجيلية" . قاطعها زوجها:

هل ذلك يثير لديك القلق يا "دوروثيه"؟

– أعلم أنك تسخر من ذلك. إنك ملحد. في النهاية الله يحمي الملكة.

ثم أردف :

– إن زوجتي مؤمنة، خاصة في ساعات الوجبات. إنها تلومني دائماً على أننا نحيا دائماً في سعة.

– إذا توجهت السيدة "فلنيف" إلى "إفريقيا" فأعتقد أنها سوف تفقد الشهية تماماً.

هنا أفاد "دانييل" من العبارة وحكى كيف ساهم – بالاشتراك مع أصدقائه – في إغاثة الشعوب الجائعة.

إن حديثه عن "إفريقيا" كان بإسهاب يكاد لا ينتهي.

كان لصورة أولئك الصغار السود ذوي البطون المرتفعة، والعيون والأفواه التي يحوم الذباب حولها، تأثير قوي في "دوروثيه".

كان "هنري" وابنته يصغيان باهتمام إلى ضيفهم، وهو يحكي عن أولئك الأطفال المصابين بالأنيميا والذين لا يهتم الغرب بمصيرهم البائس.

فما كان من هذا الحديث إلا أن أفقد "دوروثيه" شهيتها واقترحت الذهاب إلى "الصالون".

تبع "هنري" زوجته إلى هناك على الرغم من أنه كان يتمنى ان ينهي تناول طعامه.

هناك قدمت لهم الخادمة الزنجية القهوة. وكانت "إيزابيل" تجلس بجوار "دانييل"، تتطلع إليه في تأمل وإعجاب، أما "دوروثيه" فكانت ترتدي "ليزيز"، عبارة عن سترة واسعة من الصوف، وجلس "هنري" على أحد المقاعد ذات المساند، وأشعل غليونه، جلست زوجته بجواره على الرغم من أنها لا تحتمل دخان الغليون.

عرض "هنري" على ضيفه سيجاراً، وأعلن له أن "توبي" سوف يناقش معه بشأن العقد.

سيكون عليك أن ترحل خلال ثلاث ساعات على الأكثر إلى "كونبمي"، لكن هذه المدينة ليست بعيدة عن "مونتريال".

وفي إمكانك المجيء من حين إلى آخر؛ لكي ترانا ومن البديهي أن ترك "إيزابيل" تكنا نتمنى بقاءك معنا لمدة أطول، غير أننا لا نستطيع تأجيل البدء في العمل... والآن توجه إلى الحمام.

وقف "دانييل" وسأل إذا كان له موعد محدد مع "توبي".

لا. ليس عليك سوى أن تمر في الصباح، أو في فترة ما بعد الظهر إذا كنت متعباً. "توبي" سيتواجد طوال اليوم ما هو.

تدخل "هنري" ثم استطرد:

بالمناسبة، ما رأيك في "توبي"؟ لقد سبق لك أن تقابلت معه في "أبيدجان" أليس كذلك؟

أدرك الشاب أن وراء هذه الأسئلة ما هو أكثر من الفضول.

أجاب بصراحة. لم تكن له عادة إخفاء مشاعره، ولا أفكاره:

أعترف لك بأنه لا يتمتع بأي لمحة من اللطف، ولا شك في أنه يتمتع بالعديد من الصفات، ولكن...

أكمل "هنري" جملة "دانييل".

- لكنه يبدو متغطرساً، متعاظماً ومدعياً. أليس كذلك.

- إنه هكذا بالضبط. يا سيد "فلنيف"!

وفيما بعد، كان "دانييل" يتساءل في حجرته عن نيات "هنري" الحقيقية.

لماذا ألح على هذا النحو لمعرفة رأي الشاب في "توبي"؟

خلع البذلة التي كان قد استعارها من رئيسه ودخل إلى فراشه.

وها هو حالياً يشعر باقتراب ساعة الرحيل.

غير أن النعاس فاجأه.

*****

الفصل الثاني عشر

"مونتريال" الآن في فصل الصيف. كل حدائقها العامة زاخرة بالأطفال الذين يرتدون الـ "تي- شيرت" ويحتذون قباقيب المطاط. ودخل باعة الآيس كريم وكانوا في ازدياد.

كانت "إيزابيل" في هذا الصباح قد ألحت على اصطحاب "دانييل" إلى مقر "I.C.C" حيث كان على موعد مع "توبي".

كانت ملابسه قد جفت أثناء الليل وإحدى سيدات النظافة قامت بكيها. وكان "دانييل" يأمل في استلام حقائبه قبل رحيله إلى "تيكوتيمي".

ركنت "إيزابيل" سيارتها في الجراج، وافسحت الطريق لصديقها. كانا قد حضرا قبل الموعد بقليل. اقترحت على الشاب أن تقدم له "بيبي".

طلبت منهما سكرتيرة "بيتي" أن ينتظرا قليلاً؛ لأنها تستقبل الملحق التجاري الهندي.

اخبر "دانييل" صديقته بأنه كان قد كون فكرة أبسط من ذلك عن الـ"I.C.C" وأن إيفاده إلى "مونتريال" طمأنه بعض الشيء.

اقبلت "بيتي" للقائهما متعجلة رؤية هذا الشاب الذي يخفق له قلب "إيزابيل"، والذي يؤرق "توبي". فوجدته جذاباً. دعتهما إلى الدخول إلى مكتبها واعتذرت عما به من عدم ترتيب؛ لأن "الهندي" كان قد تسبب في فتح أغلب الملفات.

قالت:

– هذا لأنه أراد الاسترشاد بكل المحفوظات، لا شك في أن مثل أولئك الأشخاص يعانون حالات نفسية!

ثم أشارت لهما بالجلوس وسألتهما عن المشروب الذي يرغبان فيه.

أعلمتها "إيزابيل" أن "دانييل" على موعد مع "توبي"، وأنها سوف تنتظر صديقها عندها إذا كان هذا لا يزعجها.

في إمكانك بالتأكيد البقاء هنا، وسأطلب من السكرتيرة أن تراقب "دانييل" عند هذا الـ "توبي" العزيز.

شكرها "دانييل" وسار جنبا إلى جنب مع الفتاة، التي تركته أمام باب مكتب "توبي":

– ادخل يا "دانييل"!

وأغلق "توبي" الباب مشيراً إلى مقعد لـ "دانييل". هذا الأخير جلس، بينما جلس "توبي" بدوره على مقعد من الجلد ذي مسند دوار. أخرج العقود. ناول "دانييل" نسخة منها، وطلب منه أن يدرسها بانتباه.

– إن لم تعجبك إحدى الفقرات أخبرني بذلك. اتفقنا؟

بعد أن اطلع "دانييل" على صورة العقد، سأله:

– من الذي حرّر هذه العقود ؟

– إنه أنا ! وهل من أهمية لذلك في نظرك؟

أردف "دانييل" بنبرة جافة:

– ليس للوقت الحالي.

ثم أعاد فحص الورقتين، وأخيراً وضع النسخة التي معه على المائدة.

يبدو لي أن العقد منظم.

حسناً، عليك الآن بالتوقيع. هل معك قلم؟

ناوله "توبي" قلمه. وكان كلما وقع "دانييل" أسفل إحدى الصفحات، كان "توبي" يوقع هو أيضاً. أعاد "دانييل" القلم إلى "توبي" وأخبره بأنه لن يتأخر في "مونتريال".

لم يكن لنا الخيار. إننا في حاجة إلى من يشغل هذا المكان بأسرع ما يمكن.

لقد أخبرني السيد "فلنيف" بذلك أيضاً، لكني أعلم أنك الوحيد شخصيًا عن هذه المهمة. ألا يضايقك وجودي؟

أجاب "توبي" بلهجة مثيرة:

ولم يضايقني؟

هذا لأننا لا نلف وندور؛ لأنك تعلم تماما ما أقصده.

ألقى "توبي" نظرة إلى "دانييل".

خيل إليّ بعض الضوء على ذلك !!

سأصارحك يا "توبي". إني أجدك غير جذاب ! أتذكر يوم رحلتك من القطار في "أفينيون" بقبعتك ومعطفك الذي من الفرو، لقد وجدتك حينئذ شاذًا، سخيفًا فعلاً.

بدا "توبي" يشعر بأن عبارات "دانييل" غير مرضية، لكنه فضل التحول على الاندفاع.

قاطع "دانييل":

أعلم أن في عملي ذلك، لابد من وجود أعداء دائمًا، لكني على الأن أرى نفسي الغالب. فلا تثيرني إذن؟

رغب "دانييل" في هذه اللحظة لو أنه انقض عليه وافترسه، غير أنه تمالك نفسه.

– على أي حال يا "دانييل" لست أنا من أصرّ على مجيئك إلى هنا، فإذا كان ذلك لا يروق لك فما عليك إلا الرفض.

نهض الشاب، ألقى نظرة على "توبي" مع ابتسامة خفيفة ودون أن يجيبه خرج بحمية من المكتب.

كان "دانييل" قد نجح في ضبط نفسه؛ إذ كان ثائراً. قبل أن يذهب للقاء "إيزابيل" توقف أمام أحد موزعي المشروبات، وصب لنفسه كوباً من الصودا. شربه دفعة واحدة وألقى بالكوب؛ لأنه من الورق "الكرتون". حينئذ كفّت يداه عن الرجفة.

طلب من نادل الطابق أن يرافقه إلى "بيتي".

وعندما أخبره الصبي بأنه يوجد أكثر من "بيتي" في الدور، فكر "دانييل" في وصف سكرتيرة "بيتي". حينئذ أضاء وجه الشاب وقال:

– آه "بيتي لا نكولن". اتبعني يا سيد. إنها هنا إلى الجانب بالضبط.

كانت "إيزابيل" تنتظر عودة صديقها بفارغ الصبر؛ لأنها كانت تعتزم القيام ببعض المشتريات معه من شارع "سانت كاترين"، وفي النهاية – بعد التجول في شارع "دور شستر" – يدخلان إلى صالون الشاي، كانت واثقة بأن "دانييل" سيوافق حتماً.

وإذا بالباب يفتح والذي يظهر على عتبته هو "دانييل"، وهو كيف تصرف لكي يجد طريقه بعد أن ضل. انطلقتا في الضحك

سألت "إيزابيل" صديقها لماذا لم يرافقه "توبي". هز "دانييل" كتفيه.

عندئذ تساءلت "إيزابيل" عما دار بين الرجلين، غير أنها لم تجرؤ على سؤال صديقها، في حضرة "بيتي". وكانت هذه الأخيرة تلاحظ أن "دانييل" ثائر. وفي شيء من الحرج استأذنت "إيزابيل" من "بيتي" واصطحبت صديقها خارج المكتب.

وعند عتبة الباب سألته:

– ترغب في أن تنصرف؟

– من طيب خاطر؛ لأني لا أشعر بالارتياح هنا.

وما هي إلا دقائق حتى غادرا الـ "I.C.C".

على الرغم من إلحاح "إيزابيل" لم يفصح لها "دانييل" عن الذي دار بينه وبين "توبي".

في نهاية فترة ما بعد الظهر عادا منهكين عند آل "فلنيف". كانت "دورثيه" وزوجها يمارسان في هذه الليلة رياضتهما الأسبوعية، وتركا الشابين بمفردهما معاً.

تناول "دانييل" وجبة خفيفة، واعترف لصديقته بأنه لا يجد لياقة في رجليه بمثل هذه السرعة.

– إذ إن في صباح يوم السبت ستقله طائرة هليوكبتر من الـ "I.C.C" إلى "شيكوتيمي"، سأل "إيزابيل" في مرارة متى سيتقابلان؟

– في إمكاننا قضاء عطلة نهاية الأسبوع القادم معاً، وسألحق بك في "شيكوتيمي". على أي حال يلزمك عدة أيام؛ لكي تعتاد عملك الجديد.

-فكرة جيدة. كما أنك على حق، ولا شك في أن الأسبوع الأول لإقامتي هناك سيكون شاقًا، كريها.

قاما يلعب الطاولة بعد العشاء، وكان "دانييل" يشكو عدم حصوله على الوقت الكافي للنوم؛ لذلك صعد إلى حجرته في الساعة العاشرة، وكانت رفيقته قد تركته.

جلست "إيزابيل" في الصالون تتصفح الجريدة، كانت تتمنى معرفة أسباب الخلاف بين "توبي" و"دانييل". ترى هل كان الشجار بسببها ؟ وهل فرط محبة "دانييل" له عمل على إثارة "توبي" ؟ ألقت بالجريدة تحت قدميها، أغلقت عينيها، تخيلت أن "دانييل" يغمغم لها : " أحبك ولا أحتمل أن يقترب منك رجل آخر، أو ينظر إليك، أو يتحدث معك".

*****

الفصل الثالث عشر

ها هو سفر "دانييل" قد تم تأجيله، هذا ما أخطر به السيد "هنري" الشاب في صباح يوم السبت وقت الإفطار. وبذلك لن يسافر "دانييل" إلا في صباح اليوم التالي.

دعا "هنري" "دانييل"، إلى قاعة الرياضة؛ لكي يقوم ببعض التمرينات. توجها إلى الحديقة، وكان طبيب "هنري" قد أوصاه بالقيام بالقليل من التمرينات الرياضية، لكن نظراً لإصابته بمرض القلب، كان قد حثه أيضاً على اتخاذ مزيد من الحذر. كان الرجل يتمتع بقوة الساقين، و"دانييل" كان يتصبب عرقًا. وعندما بلغا القاعة. كانت الساعة حوالي التاسعة وكانت قاعة الألعاب قد امتلأت. وبعد القليل من التمرينات، توجه الرجلان إلى حمام البخار، جلس "هنري" بجوار الشاب وسأله عن مشاعره نحو "إيزابيل" :

- أعلم تماماً أنك سوف تجد في ذلك تطفلاً، لكن افهمني أنا والدها!

التزم الشاب الصمت في أول الأمر. إذن لقد اقتاده "هنري" إلى هذا المكان لهدف محدد، وهو أن يوجه إليه هذا السؤال، وفي النهاية صارحه:

- إني أكن صداقة قوية لابنتك. واعترف بأني قبلت عرضك هذا؛ لكي أكون بالقرب منها فقط.

غير أن رد الشاب لم يُرض "هنري"؛ لأنه يرفض عدم الوضوح.

www.rewity.com

- هل تحب "إيزابيل"؟ معذرة. إني في حاجة إلى معرفة ذلك.

وقد أثار إلحاح "هنري" "دانييل"، قرر هذا الأخير وضع حد للأمر، نهض، وخرج من غرفة البخار ودخل إلى حجرة الملابس، وارتدى ملابسه ثم خرج من صالة الألعاب.

بعد الغداء، تمدد الشابان في الظل على العشب هناك في الحديقة. كانت "إيزابيل" ترتدي "شورت" و"تي شيرت" أبيض كما أنها كانت قد حرصت على تدليك بشرتها بكريم واق من لفحة الشمس.

كانت الفتاة قد فهمت أن "دانييل" مرتبك. فانتهزت فرصة بقائهما على انفراد؛ لكي تسأله.

- أراك لم تنطق بكلمة واحدة أثناء تناول الطعام. ماذا حدث؟

- لم يحدث شيء. كل شيء على ما يرام. لاشك أنه من شدة التعب، كذلك بالنسبة لهذا العمل الجديد، كثيراً ما أتساءل إذا كنت سأتمكن من القيام به على أكمل وجه؟

فهمت "إيزابيل" أن صديقها لا يصارحها بالحقيقة، لماذا لا يرغب في المصارحة؟

- في إمكانك أن تخبرني بكل شيء؛ لأني كفيلة بحفظ الأسرار!

- لا، صدقيني كل شيء على ما يرام.

ولما كان النهار قد بدأ يميل والشمس بدأت تغرب؛ غطت "إيزابيل" كتفيها. كانا قد قضيا فترة ما بعد الظهر في تكاسل، ولم يتبادلا أي كلمة؛ حتى نعس "دانييل".

أقبلت "دوروثيه"؛ لكي تدعوهما لتناول الشاي، وأعلمتهما أن "بيتي" و"توبي" في انتظارهما في الصالون. إنه "هنري" الذي فكر

في دعوتهما، ولا شك في أنها ليست مبادرة ساذجة.

نهضت "إيزابيل" و"دانييل"، وكانا يشعران بآلام في الظهر، ووجه كل منهما قد علته الحمرة. تبعا "دوروثيه" إلى الصالون، حيث كان "هنري" يتصدر المجلس محاطاً بـ "بيتي"، و"توبي". وإذا بـ "توبي" في دهائه وجرأته - يتقدم للقاء "دانييل" وتحيته، ثم سأله إذا كان قد أمضى فترة قيلولة ممتعة.

- أشكرك على اهتمامك، أستاذنك، إني مضطر إلى أن أنصرف؛ لأغير ملابسي.

ابتسم "دانييل" لـ "بيتي" واختفى.

لم يعد ذلك بلحظات. كان "دانييل" قد عاد واشترك في الحديث.

وحول أقداح شاي من الصين، تبادلوا بعض الأخبار العالمية. وكعادته كان "توبي" يقوم بدور رئيس "الأوركسترا" إذ كان المديح من عادته، من جانب آخر كان هو الذي يقود الحوارات، أما "بيتي". وكانت أكثرهم صمتاً. فكانت تكتفي بمضغ اللبان وتأييد ملاحظات "توبي" بإيماءات من رأسها.

وبالنسبة لـ "دانييل" فلم يكن في إمكانه إخفاء عدائه لـ "توبي". سواء كان بالتظاهر بأنه لا يهتم بما يقول، أو عندما كان يعترضه في بعض النقاط.

في هذه الأثناء كان "هنري" يترقب رد الفعل لدى الرجلين، كان معجباً بهذه المبارزة وبنبرة ملؤها الدهاء سأل مدعويه لماذا لا يتوجهون للعشاء في مطعم البحرية؟

صاحت "إيزابيل":

- آه! نعم ستكون تسلية ظريفة. هيا بنا إلى هناك!

قال "دانييل":

- ينبغي أن أستيقظ مبكراً غداً.

قال هذا لأنه لن يحتمل "توبي" طوال السهرة.

- أرجوك. تعال!

وهكذا أخذت "إيزابيل" تتوسل إليه بنبرات رقيقة جداً.

وكيف يرفض "دانييل" إذن؟

استمرت "بيتي" في مضغ اللبان غير مبالية، كان كل ذلك لا يهمها، لكن سرعان ما وقف "توبي" في صف رأي "إيزابيل" - ساخراً- ألح قائلا لـ "دانييل":

- نعم، تعال! سوف تجد ما يلهيك، كما أنك لا ترغب في الإساءة إلى "إيزابيل"...

كانت كلمات "توبي" ذات رنين يعبر عن التحدي.

صعدت "إيزابيل" لكي ترتدي ملابسها، بينما "توبي" كان يطلب سيارة أجرة.

- لا وجود هنا لوضع السيارات في هذا المكان، من الأفضل تركها.

بعد عشر دقائق كانوا قد استقلوا سيارة بلون أصفر.

التزم "توبي" الصمت خلال الرحلة، وكان "دانييل" جالساً بين "بيتي" و"إيزابيل"، وقد جلس "توبي" في الأمام.

كانت "إيزابيل". تضع رأسها على كتف "دانييل" وتلاطفه بيدها برفق. وكم كانت سعادتها.

"لاماري" كانت تتمتع بزبائن كثيرة. بدءا من عمال البحرية إلى فئة رجال الأعمال، والأثرياء، والممولين وأصحاب المهن الحرة.

بعد دفع أجر السيارة، دخلوا إلى المطعم. فاقتيدوا إلى مائدة مختفية خلف "بارافان" صيني.

اقبل صاحب المطعم وهو رجل لطيف ودود، وقدم لهم القائمة، وعمل على مساعدة السيدتين على خلع معطفيهما، وأخرج من جيبه قلماً.

كان "توبي" معتاداً تناول الغداء عند "لاماري"، لذلك اقترح على مرافقيه الطبق الذي يشتهر به هذا المكان: باتيه بالجمبري. قُدم الطلب وأوصى بزجاجة شراب من "كاليفورنيا".

كانت المصابيح الصغيرة المدلاة من السقف تمنح المكان طابع الاحتفالات. كان عازف "أوكرديون" يتجول بين الصفوف، يعزف على آلته. كان "دانييل" قد تمالك نفسه بعض الشيء، وبدأ يشترك في الحديث الذي كانت تتناوله "إيزابيل" مع "توبي".

كان هذا الأخير يطيل النظر إلى "إيزابيل" كمن يذكرها بسهرتهما في "سكوتش بار". شعرت الفتاة بغتة بالحرج، أخفضت عينيها.

أردف "توبي":

- إن جمالك يا "إيزابيل" ساحر. أعتقد أنك كفيلة بجذبي.

وجد "دانييل" أن "توبي" متكبر إلى حد لا يوصف، فما كان منه إلا أن ضحك، ساخراً بكلامه:

- كم أنت مندفع، يا صديقي. هل حدث لك قبل الآن أن اضطررت إلى التزام حدودك؟

www.rewity.com

أجابه "توبي":

- يبدو أنك عصبي، وأنك شخص لا تتكيف بسهولة مع الجو المحيط بك. وبالمناسبة هل جو المطعم لا يناسبك؟

تبادلت الفتاتان نظرات قلق. لقد خشيتا أن يصل الأمر بالرجلين إلى الشجار. وفي الواقع، لقد نهض "دانييل" فجأة وفي جفاف. قلب مقعداً كان أمامه. وأمسك بعنف بياقة سترة "توبي" ورفعه إلى أعلى، ثم ألقى به إلى الحائط، لذلك أصدر عنق "توبي" صوتاً مدوياً عندما ارتطم بالجدار. تركه "دانييل" بعد ذلك. وتناول سترته وانصرف.

وكان الصمت يخيم على القاعة، وكل الأنظار اتجهت نحو "توبي" وهو يترنح، و"بيتي" و"إيزابيل". استفسرت "إيزابيل" عن حالته، ثم خرجت بعد "دانييل".

أمسكت به في الشارع:

- إنك حقاً مجنون! ما الذي دهاك؟

شعر الشاب بأنه فعلاً ارتكب حماقة، وندم على اندفاعه هذا.

قالت له "إيزابيل":

- يجب عليك أن تقدم اعتذارك إلى "توبي".

رفض، وبإصرار. وقال:

- لقد شعرت بالارتياح.

- مم شعرت بارتياح؟ وضح لي!

- منذ أن قابلته في "أفينيون"، وأنا لا أشعر إلا برغبة واحدة، أن أحطم له وجهه. أتعتقدين أني مخدوع؟

إن له فكرة في ذهنه، وهي أن يخنقك ويُمنح الإرث! إن هذا النوع يظهرني!

كانت "إيزابيل" تعلم أن صديقها على حق، لكنها عملت على أن يلاحظ أن لها كلمتها في هذا الأمر، ولا ترغب في أن يتبارزا من أجلها.

- أتوسل إليك! قم بذلك من أجلي! اعتذر.

وبعد لحظة، وافق "دانييل" - على غير إرادته - على أن يستجيب إلى توسلات "إيزابيل". ووعد بتحرير خطاب إلى "توبي".

أردفت الفتاة:

- أشكرك.

طلبت سيارة أجرة ولحقا بالحي الإنجليزي.

وكان ينبغي أن يرحل "دانييل" في اليوم التالي إلى "شيكوتيمي"، و"إيزابيل" ستلحق به في عطلة نهاية الأسبوع القادم.

*****

www.rewity.com

الفصل الرابع عشر

بعد مرور ثلاثة أيام على رحيل "دانييل"، كان "توبي" قد غادر "مونتريال" دون أن يعطي مبرراً لذلك. لم يغفل عن سلوك "دانييل" نحوه الذي شكاه إلى والد "إيزابيل". والفتاة كم عانت، وكم لاقت من صعوبات في تهدئة "هنري".

كان هذا الأخير ثائراً: "وعلناً، هكذا صاح. ومن فرط ثورته، اتهم ابنته بالتسبب في إشعال الغيرة والمنافسة بين الشابين.

واضطرت "دوروثيه" إلى التدخل؛ لتهدئته.

خلال هذه الفترة، اتصلت "إيزابيل" عدة مرات هاتفيا بالشاب، لكنها تحفظت ولم تحك له الموضوع بالتفصيل، ثورة "هنري" التي تهددهما. هي والشاب معاً. لو كان "دانييل" قد تقدم. لكان في ذلك تبرير لحركاته.

وحوالي الساعة الحادية عشرة، سمحت الآنسة "وستربي" لـ "توبي" بالدخول إلى مكتب "هنري فلنيف".

كان المحامي يضم إلى صدره حافظة وثائق. وكان عنقه مازال متصلباً.

دعاه "هنري فلنيف" إلى الجلوس وعرض عليه كأساً من شراب. مكث الرجلان صامتين للحظات، ثم استفسر "هنري" من "توبي" عن الغرض من زيارته له: هل لديك أمر مهم؟

- سيدي "فلنيف"، حتى الآن لقد أثبت مدى احتمالي وصبري. ومنذ أن التقينا لم تتذمر مني إلا نادراً.

مط "هنري" شفتيه وطلب من مُحدثه أن يكون واضحا، وأن يتناول صلب الموضوع.

أردف المستشار:

- لقد عنفني صديق ابنتك، بل أصابني بدون مبرر، ودون أي سبب واضح، ثم اكتفى بإرسال خطاب اعتذار بأسلوب جاف، وحتى لم يوقع عليه، ولم يؤرخه أيضاً".

طلب السيد "هنري" من "توبي" أن يختصر، لأنه كان على علم بالأمر، ثم طمأن "توبي" بأنه موضع تقديره:

- إن شركتنا منذ إنشائها حريصة على ضمان الصفات الحميدة والأساليب الراقية لكل العاملين بها ولجميع الشركاء.

عندئذ فتح "توبي" حافظته وأخرج منها بعض المطبوعات.

ثم واصل:

- إن هذا الـ"دانييل" له سوابق لقد تأكدت من ذلك.

ثم مد يده بالأوراق إلى "هنري" وتناول كأس الشراب الخاصة به.

كان "هنري" يعترف بتفاني "توبي". ولما لم يسر بالبيان الذي وصله من السفارة الفرنسية في "السنغال"، كان المحامي قد قام بالتحقيق بنفسه. توجه أولاً إلى "باريس"؛ أخذ "هنري" يقرأ الوثائق بعناية وأشار إلى "توبي" بان هذا الملف فعلاً غير كاف.

- أنا لا أجد ما يشير إلى أن "دانييل" يُدان عن وفاة صديقه. إنها حادثة طريق قاسية، وتقرير الشرطة يؤكد أن السائق فقد السيطرة على عجلة القيادة، وهذا من البديهي لأنه نعس وهو ممسك بها، وبذلك سقطت عربة النقل في هوة.

صمت لحظة، ثم أردف:

- لا يا "توبي". لن تفيد شيئاً من هذا الملف. إنك الخاسر يا ولدي.

ولم يلح "توبي". لاشك في أنه سوف يستغل الوثائق الأخرى، كسب آخر للمحامي، ورقة رابحة بالنسبة له: وهو أن "هنري" سوف يحال إلى المعاش قريباً، نظراً لظروفه الصحية. وكانت فكرة الانتقام من "دانييل" تسيطر عليه حالياً. سينتقم، سواء بمؤازرة "فلنيف" أم بدونها.

ثم عمل "هنري" على تهدئة "توبي".

- لا، صدقني. إنك تفقد وقتك. ظننتك مستنداً إلى مسائل أقوى من ذلك. وعلى قدر استطاعتك اتبع نصيحتي وانس "دانييل"!

جمع "توبي" وثائقه متظاهراً بأنه يؤيد رأي رئيسه، ونصائحه الصائبة، وانسحب.

تقابل مع "بيتي" في الدهليز- وكانت في أبهى منظر- فأعلن لها باسم المصارحة السرية، أن بحافظته أوراقاً كفيلة بتدمير "دانييل". هنا أبدت "بيتي" فضولاً واضحاً. وقد لا تكون سوى مسألة وقت.

لمست الفتاة الحقد واضحاً في لهجة "توبي"، ومن فزعها قررت إخطار "إيزابيل".

وجدتها في مكتب صغير كان قد أعد لها في نفس الطابق.

كانت الفتاة تدرس كل يوم ملفًا ثم تنقل الخلاصة إلى والدها.

وبمرور الأيام، لاحظت "إيزابيل" أنها أصبحت لا تميل كثيرا إلى هذا النوع من العمل، غير أنها لم تعترف بعد لأبيها بذلك.

استقبلت "إيزابيل" "بيتي" بكل ترحاب. وكانت تعاني ضيقًا شديداً، غير أنها لمحت أن الفتاة مكتئبة. فهمت حينئذ أنه لابد من وجود ما يكدرها.

سألتها:

- هل من مشكلة؟

ترددت "بيتي" لحظة، وكان القلق بادياً عليها وهي تعرف المحامي جيداً!

قالت:

- لقد تقابلت مع "توبي" في الدهليز وهو يدعي امتلاك ما قد يعمل على تدمير "دانييل"، إنها كلماته حرفيًا!

حينئذ صاحت "إيزابيل":

- يدمر "دانييل"!

وكانت أثناء تفوهها بذلك قد أقبلت على "بيتي"، وامسكت بيديها وهي تلقي إليها نظرات الغيظ والفزع.

سألتها:

- أخبريني يا "بيتي" عما بالأمر. تكلمي!

- ليست لدي أدنى فكرة. كل ما قاله، هي أنها مسألة عدة أيام.

حينئذ تذكرت "بيتي" أحد التفاصيل استطردت:

- أعتقد - ولست واثقة بذلك -، أنه كان آتيا من مكتب والدك.

تركت الفتاة يدي "بيتي". والتفتت، أخذت تتجول في الحجرة وقد بدت مهمومة، بذلك يكون والدها هو الذي يتحامل على الرجل الذي أحبته. رفعت سماعة التليفون، طلبت مكتب والدها.

منحها هذا الأخير المقابلة المطلوبة، متوسلاً إليها بأن تتكتم الأمر، وأن تتكلم باختصار، لأنه ليس لديه وقت يمنحه إياها.

تركت "إيزابيل" "بيتي" وأسرعت إلى المصعد.

دفعت باب مكتب "هنري فلنيف". وكانت منفعلة إلى أقصى حد. وإذا بوالدها يؤنبها؛ لأنها في اندفاعها كادت توقع الآنسة "ويستربي".

حينئذ صاحت:

– هل رأيت "توبي" هذا الصباح؟

– لقد خرج لتوه من عندي. لماذا؟

كانت قد جف حلقها، وما كان من "إيزابيل" أن نقلت لوالدها صورة عما عرفته من "بيتي" عما كان "توبي" قد أفصح لها به.

سألها "هنري":

– هل واثقة بقولك هذا؟

– "بيتي" لا تكذب! لقد حدثك "توبي"؟ عم حدثك؟

– عن قصة واهية...

وحكى "هنري" كلمة بكلمة الحديث الذي دار بينه وبين "توبي"، وأنه كان قد أوعز إلى مستشاره بألا يعلق على ذلك. لكنه ظاهريًا لم يسمع له.

– غير أن "توبي" كان دائمًا شريفًا.

– وهذه الحادثة، حادثة "السنغال" بم تفيده؟

وإذا بـ "هنري" يرى جليًا، فجأة نيات "توبي".

إن "إيزابيل" على حق وهذه القصة في حد ذاتها لا تمثل أي

مصلحة، غير أن "توبي" خبيث. سوف يستخدم هذه الحادثة؛ لكي يشوه صورة "دانييل"؛ وبذلك يلزم المجلس بالتخلص منه.

وهكذا في إمكان "توبي" أن يوحي إلى مجلس إدارة الشركة بأن المدعو "دانييل"، عوضًا عن أن يقف بجانب صديق، آثر قضاء ليلته بين ذراعي سيدته.

"إيزابيل" هددت "هنري":

– ما الذي ستقوم به إذا ما تعرضوا لـ "دانييل"؟ إذا عملوا على مضايقته فساعود إلى "فرنسا"!

– هيا! اهدئي! إن والدك كفيل بتدبير الأمور. لقد أخطأ "توبي" في اندفاعه.

وفجأة أشرق وجه "هنري". وكأنه يقول: "توبي" لقد تسرعت يا "توبي" في مهمتك!" وطمأن ابنته.

– الآن بيدي الأمر!، الآن دعيني بمفردي. و احرصي خاصة على عدم التحدث في الأمر مع أي شخص كان! وعد بذلك؟

خرجت الفتاة- وقد هدأت – من مكتب والدها.

توجه "هنري فلنيف" إلى السيد "آرشيبال شامبرليان" مؤسس الـ "I.C.C".

كان هذا الشخص يُكن لـ "هنري" صداقة قوية، وهو الذي كان قد نصبه في رئاسة الـ "إنتركونتيننتال كامباني".

عندما علم "آرشيبال" بوجود صديقه القديم، ولج إلى الصالون، جلس في مواجهة "هنري" وقدم له كاس شراب.

– تُرى أي ريح دفعت بك إلى هنا يا صديقي؟

www.rewity.com

فما كان من "هنري" إلا أن وضح له الموقف مرتكزا على مدى ارتباط ابنته بالشاب موضوع المشكلة، ثم طلب مشورة مضيفه.

- هيا يا "هنري" لابد أنك تحتفظ بالتأكيد بفكرة في ذهنك.

- يجب أن يقدم "توبي" استقالته. لقد حاول زعزعتي.

ثم كرر السيد "آرشيبال":

- حاول زعزعتك؟

حينئذ نظر "هنري" إليه نظرة تواطؤ، فما كان منهما إلا أن انطلقا في الضحك.

أردف "آرشيبال":

- ستحصل على استقالته غداً على الأكثر.

ولما كان "هنري" قد قضى فترة طويلة في مقر الشركة، قرر- بعد عودته في ساعة متأخرة - ألا يفصح لابنته بأي شيء إلى أن يحصل على استقالة "توبي".

وفي صباح اليوم التالي، وقت تناول الفطور، حاولت "إيزابيل" الدفع بوالدها إلى الكلام، لكنه تملص من أسئلتها.

عرض على ابنته أن تأخذ "الليموزين" للتوجه إلى ميدان "بونافنتي" وافقت "إيزابيل" عن طيب خاطر.

قضت الفتاة فترة ما بعد الظهر في إعداد رحيلها إلى "شيكوتيمي" حيث كان "دانييل" سينتظرها لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. وحوالي الساعة الثامنة عشرة، تلقت مكالمة هاتفية من والدها يخبرها بأن "توبي" سلم استقالته إلى مجلس الإدارة.

كم كان سرور "إيزابيل" عند سماعها لهذا الخبر؛ لأنها كانت لا

تكن أي مودة لهذا الشخص.

تذكرت حينئذ أنه بفضل "بيتي" تم كل ذلك؛ لأنها تلقت تلك المعلومة عن نيات "توبي" السيئة عن طريقها. رفعت السماعة وطلبت الفتاة.

فوجئت عندما علمت أن الفتاة على علم بذلك، لقد وافاها "توبي" نفسه بهذا الخبر معلناً لها أنه اضطر تحت ضغط إلى تقديم استقالته. وكانت قد شاهدته وهو يغادر العمارة، كسيراً، خافض الرأس.

شعرت "إيزابيل" بأن صوت "بيتي" به نبرة مرارة. وتذكرت في الحال أن هذه الأخيرة كانت يوماً ما سيدة للمحامي.

ترى هل "بيتي" ما زالت تحبه؟ وهل "توبي" لا يحب سواها؟

انخفضت "إيزابيل" السماعة. وشعرت بأن ثمة إحساساً بالندم، مما يخص أمر "توبي".

والآن! إنها لا تفكر إلا في "دانييل". ستعمل حالياً على جعله يوضح موقفه. لقد طال هذا الموقف المبهم.

نعم. إنه غامض. وإن لم يتكلم "دانييل"، فسوف تتكلم هي عنه!

*****

الفصل الخامس عشر

وفي الصباح، في سماء "مونتريال"، كان يحلق سرب من الطيور الجارحة. كانت "إيزابيل" قد استيقظت منذ الصباح الباكر، جمعت كل حاجياتها ووضعتها في حقيبة السفر. كان "هنري" قد نصحها بترك سيارتها في مطار الحوامات؛ لكي تكون في أمان هناك حتى عودتها من "شيكوتيمي".

نفذت "إيزابيل" ذلك في وقت مناسب.

سحبت سيارتها إلى الجراج. وتناولت حقيبتها. حينئذ أقبل إليها رجل فارع. إنه الطيار الخاص بوالدها.

قدم نفسه :

" أدعى "كلايد"، لكني ملقب بـ " هاري". سنرحل في الحال، اتبعيني". سارت "إيزابيل" بمحاذاة خطوات الطيار وتبعته إلى "الهليوكبتر". اتخذت لها مكانًا. وما هي إلا لحظات وإذا بالطائرة تقلع.

حلقت "الهيلوكبتر" فوق "سان لوران"، خلال دقائق ثم عرجت نحو الشمال الشرقي وكان المنظر خلابًا، خياليًا للناظر إليه من أعلى ا إنها الطبيعة العذراء في عظمتها وبهائها.

بعد ساعة هبطت الطائرة في "شيكوتيمي" حيث كان "دانييل" في انتظار صديقته. انطلق "دانييل" نحو الطائرة. من جانبه عاون "كلايد" "إيزابيل" على النزول. و"دانييل" احتوى الفتاة بين ذراعيه.

– ألم يهزك "هاري"؟

ضحكت.

– إنه أنت الذي تهزني.

أمسك الشاب بحقيبة "إيزابيل" وقادها نحو سيارته الـ "جيب". القى بالحقيبة على الأريكة الخلفية وانطلق بسرعة بعد أن قام بتنحية "هاري" بإشارة من يده.

كانت مدينة "شيكوتيمي" التي يخترقها نهر "ساجيني" تحيط ببحيرة تتكاثر فيها الأسماك، بحيرة "سان جان" وضح "دانييل" أهمية الماء في هذه المنطقة، غير أنه أكد أن أول صناعة فيها هي صناعة الخشب. وكانت "إيزابيل" تصغي إليه بانتباه.

– أتعلمين أن الخشب مهم جدا لهذا الشعب؟ إنهم تقريبًا يعيشون على هذا المورد.

اخترقت الـ"جيب" المدينة. كان أمامهما مسيرة خمس دقائق للوصول إلى الطريق المحاذي للبحيرة حيث تتوالى عدة فنادق. هناك كان "دانييل" قد حجز لـ "إيزابيل" حجرة في أحدها.

منظر الغابات، هذه البحيرة ذات المياه الصافية، وجود "إيزابيل" كل ذلك كان يبهج "دانييل".

ركن "دانييل" سيارته الـ "جيب" أمام الفندق، وتناول حقيبة "إيزابيل" واتجه نحو المدخل. تبعته "إيزابيل" وهي تواصل التأمل في المناظر الريفية بإعجاب.

كانت الصالة الفسيحة المزدانة باللوحات ذات الأطر الذهبية التي تعبر عن مناظر جميلة، تذخر بأشياء نموذجية وكلها من صنع حرفيين من الهنود.

تحقق موظف الاستقبال من دفتر الحجز ومد يده بالمفتاح الخاص بالحجرة، إلى "دانييل".

– تعالي يا "إيزابيل". إنه في الطابق الأول، من جانب البحيرة.

صعدا سُلمًا خشبيًا مغطى بالسجاد. وفي الطابق، وجدا بسرعة حجرة "إيزابيل". دفع "دانييل". بالباب. كانت الحجرة ذات أبعاد متواضعة، والسرير لا يتناسب مع ذوقها. وكان بها صوان ضعيف موضوع بزاوية مع الحمام.

– أعلم جيدًا، إنه أنسب مكان الآن لأنه في هذا الفصل يتزاحم النزلاء إلى هذا المكان لأن البحيرة ليست ملوثة. وهم يفدون إليها للاستحمام.

–على أي حال، كل ذلك لا يهم. المهم هو أن أكون معك الآن كذلك؟

حك "دانييل" رأسه علامة على تأييده لكلامها. وضع الحقيبة في الصوان، كانت "إيزابيل" قد فتحت النافذة ومالت إلى الخارج.

أتى "دانييل" ولحق بها. كانت البحيرة محاطة بجبال مشجرة. ومن هنا وهناك كان الصيادون يجرون شباكهم إلى قواربهم من هذه المياه اللامعة. دعا "دانييل" "إيزابيل" إلى تناول الوجبة التي كان قد أعدها خصيصًا.

كانت هناك فتحة زجاجية بطول المطعم تطل على البحيرة.

اتجها نحو المائدة الوحيدة المغطاة بمفرش أحمر. وفي الحال أقبل إليهما النادل حاملاً صينية عليها أنواع مختلفة من المربى، خبز توست، بيض باللحم، حليب، قهوة، شاي.

حينئذ صاحت "إيزابيل":

– يا إلهي ستأكل كل هذا؟

– كنت معتمدًا عليك لكي تعاونيني... لكن ربما تظنين أني أتناول هكذا كل يوم ؟

– للسيدات نظام معين في تناول الطعام ؛ لأننا إذا كنا نرغب في الحصول على إعجابكم بنا فعلينا اتباع هذا النظام.

– أتعلمين يا "إيزابيل"، أني لا أنفر من الفتيات البدينات.... هل أقدم لك؟

تناولا طعامهما على مهل، وهما يراقبان الصيادين وهم يعبئون صيدهم في صناديق ويضعون مراكبهم بالقرب من الشاطئ.

هذه الصناديق رفعت حينئذ على عربات صغيرة تدفع باليد حتى الأسواق حيث تباع بالنداء...

وكان الرجال بعد الانتهاء من هذه المهمة يتوجهون بعد ذلك إلى المقهى.

– إنهم يكررون هذه العملية مرتين في اليوم... لأن زوجات الأغلبية منهم لهن عمل في المدينة، حتى يتعاونوا على المعيشة.

– هل تحب أولئك الناس ؟ هل تحب عملك ؟ الطبيعة الحياة، تقريبًا كل شيء، أليس كذلك؟

دقق "دانييل" النظر في عيني "إيزابيل". تبادلا النظرات في صمت. ثم أمسك "دانييل" بيد "إيزابيل" وأطبق عليها.

– سوف أحب فتاة ذات يوم، لكني لن أكف من أجل ذلك عن حب أولئك الناس. مع من أقضي حياتي وأعمل. سحبت "إيزابيل"

يدها من يد "دانييل". كانت في هذه الأثناء تفكر... كيف تحطم السياج المتين الذي يجعل "دانييل" بمثل هذه الصلابة ؟ كيف تجعله يدرك؟

تكلم "دانييل":

– كنت قد فكرت في رحلة بالقارب، قارب خفيف قد أعارني إياه أحد الصيادين... حفل للتجديف على البحيرة، هل يروق لك ذلك؟

طلبت منه "إيزابيل" أن يمنحها الوقت الكافي لإحضار ملابس لائقة لذلك. صعدت إلى حجرتها ونزلت بعد لحظات بعد أن ارتدت بنطلونًا، "شيميزنه" و"بلوفر" سميكًا، ملابس تهبها مظهر صبيٍّ.

– وكأنك تستعدين لبعثة... تعالي، عندي "بوت" في الـ"جيب".

أغلقت حجرتها ثم وضعت المفتاح في مكانه وتبعته. وصلا بالقرب من مقهى حيث كان الصيادون يتشاجرون.

أردف "دانييل" بلهجة ودية:

– هيه يا "آجاريك" هل تمنحني قاربك؟

– ها هو... إنه هنا (قال هذا مشيرًا بأصبعه)... إنك حقًا جميلة يا آنستي. إنه حقًا محظوظ هذا الشاب! احترس من الموج، إن البحيرة تبدو هادئة، هذا ما نتوقعه حتى هذه اللحظة التي نذهب فيها إلى العمق. إن المتهورين يغرقون! رحلة سعيدة.

قفزا إلى القارب. ساعد "دانييل" "إيزابيل" على الجلوس وغطى لها ساقيها بـ"كوفرتة". سحب الحبل ومستعينا بأحد المجدافين ؛ أبعد

القارب عن الشاطئ، وضع المجداف وأعمل المحرك.

بعد دقائق كانا في عرض البحيرة ؛ حينئذ أصبحا لا يميزان الشواطئ جيدًا.

– إن البحيرة تمتد خلف هذا الجبل على مساحة عشرات الكيلومترات !

– أريد أن أتحدث إليك يا "دانييل" بشرط ألا تتحامل عليّ. هل تعدني بذلك ؟

وعدها واصلت "إيزابيل" كلامها، قالت:

– لقد حدثت أمور عديدة في "مونتريال" خلال هذا الأسبوع.

– لقد اضطر "توبي" – تحت ضغط – إلى تقديم استقالته...

قطب "دانييل" حاجبيه. وألقى إلى "إيزابيل" نظرات تبدو فيها الحيرة.

– وتخيل يا "دانييل". إنك لست غريبًا لهذا الرحيل المفاجئ.

بدت الدهشة على وجه "دانييل".

قالت "إيزابيل":

– كان يريد استخدام فقرة مؤلمة لكي يبتز أموالي بالتهديد. لم أقبل يا "دانييل"... وتصرفت بأن أثرت أمر رحيله....

كان "دانييل" في هذه اللحظة وكأنه قد انغلق على نفسه.

قال:

– وتسالينني لماذا كذبت عليك؟

– إنك لم تكذب عليّ. إنك رفضت أن تتحدث معي. وهذا يختلف.

www.rewity.com

هكذا أكدت الفتاة.

كان "دانييل" قد أوقف المحرك.

ارتفع صوت "دانييل".

- "فانسان كوبو" كان صديقي. كنا نعيش في نفس المسكن، وكنا نتقاسم كل شيء. وذات مساء وصلني نداء من إحدى قرى "السنغال". كان لابد من حمل ماء إلى الصبية :وعاء ماء... كنا متعبين، لكن كان لابد لنا أن نتخذ قراراً وكانت هذه مسؤوليتي...

كانت الدموع تملأ عيني "دانييل" فكان يحاول ألا ينظر إلى "إيزابيل":

- حينئذ ناديت "فانسان" وأخبرته بما ينتظرونه منا. أراد أن يذهب بمفرده. كان ينبغي أن نتوجه معاً، لكنه رفض.

وفي اليوم التالي وجدت العربة النقل في الغابة هناك في مستنقع، وكان "فانسان" قد لقي مصرعه فيها؛ لذلك قررت بعد وفاته ألا أجدد عقد الارتباط للعمل هناك. وعدت إلى "فرنسا"... وما زاد على ذلك فانت خير من تعلمه.

نهضت "إيزابيل" وأقبلت إلى "دانييل" وجلست بالقرب منه:

- لم أفكر يوماً ما في إدانتك، بل بالعكس كل ما أرغب فيه هو أن تنسى كل هذه الأحداث...

وضع "دانييل" أصبعه على فمها.

- صدقيني يا "إيزابيل". إني أحاول الحصول على ذلك...!

احتمت "إيزابيل" به. أعاد "دانييل" القارب إلى الجسر العائم.

أقبل "آجاريك" - وهو صياد يفخر بأن له أقارب في "بريطانيا" -

عاون الشاب على جعل القارب يرسو.

شكر "دانييل" صاحب القارب بحرارة. صعدا إلى الجسر العائم، وعادا إلى الأرض.

كان أحد باعة السلع الخاصة بالشواطئ والمشروبات المثلجة قد فتح محله. استأجرا كراسي طويلة؛ لكي يتمددا عليها. كانت الأطفال هناك تلهو، ومن هم أكثر تهوراً كانوا يتعمقون في البحيرة.

خلعت "إيزابيل" البلوفر وكذلك الحذاء.

أما "دانييل" فقد نهض؛ لكي يحضر لها شاياً بارداً.

- هل الجميع يتحدثون الفرنسية هنا؟

- إنها ليست اللغة الفرنسية بالضبط. إنه لغو.

- هل تجد مسرة في "شيكوتيمي" يا "دانييل"؟

- المدينة رائعة، والناس يتصفون بالصراحة والصدق... كيف أوضح لك... كم أحب التعامل مع الناس، أن أصادقهم. أتفهمين ما أقصده؟

كانت "إيزابيل" أثناء هذا تمرر يدها على الرمال الذهبية.

ولما التفتت لكي تجيب عن سؤال "دانييل" وجدته قد نزل إلى ماء البحيرة الدافئ.

إن تعب هذه الأيام الأخيرة منعها من اتباعه. نعست، لحق بها "دانييل".. أخذ يوقظها. لقد بدت الشمس محرقة. اقترح عليها نزهة في الغابة. استقلا الـ"جيب". كان الطريق متعرجاً:

- انظري! على اليمين إنها قرية هندية. يسكنها حرفيون. إنهم يقومون بأعمال أسلافهم وهي فنون متوارثة في فصل الصيف،

ويعودون إلى الكلية في الخريف.

تاثرت "إيزابيل" لهذا الديكور الرائع، الجدير بان يكون فيلماً بالالوان. بعد قليل وصلا إلى مكان أعمال الخشب.

– إن هذا المكان ملكك يا "إيزابيل" انزلي؛ لكي أريه لك.

خرج رجل مسن من كوخ واقترب منهما.

قال "دانييل":

– إنه أنا يا "إيجين". أقدم لك الآنسة "إيزابيل" ابنة أحد كبار الرؤساء.

قام "إيجين" وهو حارس المكان بالتحية في إجلال. أبعد "دانييل" وتقدم لكي يساعد الفتاة على زيارة المبنى.

عندما تقدم نحو الورش تبعته "إيزابيل". و"دانييل" بدوره تبعهما، وقد بدا راضيا منسجماً.

– إن الرجال يسكنون هنا... اليوم بالتاكيد كلهم في المدينة؛ للترفيه عن أنفسهم..!

كم كان سرور "إيزابيل" لهذه الالفة التي أبداها هذا الرجل الذي في الأثمال. كان مكان الخراطة يبدو كانه مملكته أكثر من أي مكان في الـ "I.C.C." وكان حديثه مرحًا. بعد الانتهاء من الجولة، شكرت "إيزابيل" "إيجين" ووعدته بالعودة، وأبدى الآخر ابتهاجه.

بعد عناء النهار، سعت "إيزابيل" و"دانييل" إلى العثور على مطعم. لقد عمل الهواء الطلق على إثارة شهيتهما.

كانت أغلب الحانات مزدحمة بالرواد، وأخيراً وجدا مطعماً للصيادين.

أردف "دانييل":

– إنهم يعدون طواجن سمك شهية.

– عن نفسي، أنا جائعة. ساتناول أي شيء.

قال لها "دانييل":

– لقد أخبرتك بانه ليس أي شيء. إنه سمك !!

– المعذرة... أعلم أنك شخص أكول. تحب الطعام الجيد.

قبل "دانييل" اعتذار "إيزابيل" وطلب كوبين من الشراب.

قال:

– ساعترف بما أشعر به... إني سعيد؛ لتواجدي معك...

– كان من الممكن أن أكون أنا التي تبادرك بذلك.

هكذا أجابت "إيزابيل".

تناولا العشاء في سرور. وحقا "دانييل" لم يكترث.

عند التحلية قدم لها الفاكهة مرتين.

تنهدت "إيزابيل" وهي تقول:

– لقد امتلأت أكثر من اللازم.

– سارافقك إلى الفندق وصباح غد سوف أوقظك عند الفجر. اتفقنا؟

– أنت لا ترحم!

أعاد "دانييل" "إيزابيل" إلى فندقها وتمنى لها ليلة سعيدة.

انتظر إلى أن دخلت إلى حجرتها وأضاءتها، وحينئذ عزم على العودة إلى مقره.

*****

www.rewity.com

الفصل السادس عشر

كانت النجوم تتلألأ في سماء "شيكوتيمي" الصافية. والبدر يضيء المدينة النائمة.

استيقظ "دانييل" حوالي الساعة الثانية صباحاً على صوت صفارة إنذار مدوية. قفز عن سريره، أسرع إلى الشرفة، لمح نحو البحيرة، ألسنة نار وهّاجًا. فكر في الحال في "إيزابيل".

أسرع بارتداء بنطلون" وتي شيرت" وتوجه إلى سيارته الـ "جيب". وفي الحال تواجد على الطريق الكبير المؤدي إلى "شيكوتيمي".

سيارات إسعاف، سيارات مطافئ، صفارات إنذار متوالية، مدوية، سيارات شرطة كل ذلك كان متجهاً نحو الحادثة. وإذا بـ "دانييل" يتواجد في لحظة أمام رجل الشرطة الذي يمنع مرور السيارات الخاصة.

– تفضلوا بالعودة ! ممنوع المرور!

سأله "دانييل":

– أين الحريق؟

– لقد التهم القرية الهندية، ثم لحق بالمدينة. إذا سمحت انصرف.

توسل إليه "دانييل":

– يجب أن أمر. إن إحدى صديقاتي نزيلة في فندق البحيرة.

أخيراً سمح له الشرطي بالمرور.

– كن حذراً.

بدأت سيارة "دانييل" الـ "جيب" تتعمق، تبعت سيارة إسعاف متجهة نحو المكان المشئوم. لقد اقتربوا من البحيرة. كان المشهد

رهيباً، مفزعاً. لقد تسببت النار في وقوع العديد من الضحايا، والجرحى الذين نقلوا إلى المستشفى. عندما اقترب "دانييل" من فندق "إيزابيل" ترك سيارته على جانب الطريق.

وصل إلى الشاطئ. وإذا بالفندق الذي تقيم فيهِ "إيزابيل" مشتعل حتى السطح.

كان الحريق قد فاجأ الناس وقت نومهم. اندفع نحو المبنى المشئوم. منعه أحد رجال المطافئ.

– هل أنت مجنون. لا يوجد أحد في هذه الأطلال!

– "إيزابيل"، أين "إيزابيل"؟

– هل كانت في الفندق؟

كان وجه رجل المطافئ يتصبب عرقاً.

– نعم، كانت في الفندق.

رفع الرجل غطاء رأسه ؛ لكي يجفف جبهته. حسب رأيه أنه لا وجود لأحياء في هذا المكان؛ لأن سيارات المطافئ لم تصل في الوقت المناسب.

قال له:

انظر في المستشفى، ربما تكون ضمن الجرحى ؟ إذا كانت قد هربت من اللهب، لابد أنها في إحدى المدارس، أو في الكنيسة. من أجل ذلك اسأل الشرطة. المعذرة يجب أن أعود.

جثا "دانييل" على الرمل، وعيناه مليئتان بالدموع. وإذا بواجهة الفندق تنهار.

مكث الشاب لحظات وكأنه مشلول، حاول أن يتمالك نفسه إذ أتته بارقة أمل.

www.rewity.com

ربما أن "إيزابيل" هربت - قد تكون انقذت.

أسرع نحو سيارة الشرطة.

من فضلك، لي صديقة كانت نائمة في هذا الفندق.

أتعلم حقاً أنه ليس من أحياء هنا؟

– آسف. لم نعد القائمة بعد، كل ما أستطيع أن أخبرك به أن هذه الفتاة إذا كانت حية، لابد أنها أودعت أحد مراكز الإيواء. حالياً ليس لدينا معلومات أكثر من ذلك.

عليك بالاستفسار غداً من مقر العمدة.

ألح "دانييل":

– لقد حدثوني عن أماكن محلية من الممكن أن يكونوا قد اصطحبوا إليها.

انتزع الشرطي ورقة من مفكرته، كتب له عناوين بعض الأماكن حيث أودعوا أولئك البؤساء.

عاد "دانييل" إلى سيارته الـ"جيب"، انطلق بعد قليل توقف أمام كنيسة "سانت كاترين"، خرج من سيارته. هناك العديد من الأطفال يبكون، سيدات في ملابس النوم على السجاجيد وعلى أسرة معدة لذلك.

أقبلت إلى "دانييل" راهبة في ملابس بيضاء:

– هل تبحث عن أحد؟

– صديقة، "إيزابيل فلنيف"، إنها فرنسية. كانت مقيمة في فندق البحيرة.

اطلعت السيدة على القائمة التي بيدها، ثم التفتت نحو "دانييل".

– لا، هذه الفتاة ليست هنا، قد تكون في مركز آخر.

انصرف "دانييل" وقد ازداد حزناً. كل تفكيره كان منصباً على العثور على "إيزابيل". من أجل ذلك عليه بمتابعة البحث، مع مزيد من الأمل.

ثم بعد عدة دقائق، وصل إلى مدرسة "جلوسيستر"، وهي مبنى يكسوه الزرع. ووجد نفس المنظر المؤثر.

أسراً متفرقة، رجالاً، سيدات يتوسلن للحصول على بعض الأخبار عن قريب، أطفالاً فزعين..

توجه "دانييل" إلى أحد المسؤولين، سأله عن "إيزابيل":

– "إيزابيل فلنيف"؟

نظر الرجل إلى القائمة التي بيده وهو يواصل منح نصائحه إلى فرق المتطوعين الذين أسرعوا إلى معاونتهم.

– اطمئن يا سيدي. إنها عندنا وفي أتم صحة. هل أنت من أسرتها؟

لم يتمالك "دانييل" نفسه من فرط سروره:

– أين هي؟ أين هي؟

أشار له الرجل بأصبعه إلى المكان.

صافحه "دانييل"، ثم سار بطول دهليز، توقف على عتبة باب فصل، فتحه.

كانت "إيزابيل" متقوقعة على مرتبة من الإسفنج، في الوقت الذي اقترب فيه منها، رفعت رأسها، عرفته. شعر كأن عيني الفتاة تتوسلان إليه. نهضت ببطء، وحينئذ أخذها "دانييل" بين ذراعيه، ضمها إليه في حب، وحنان، وعاطفة. وتلاقت شفاههما.

– آه يا "دانييل" يا حبي! أحبك، لا تتركني بمفردي، أرجوك".

– ساكون لك حامياً دائماً! لا تقلقي بعد الآن... ساكون بالقرب

منك دائماً. أنا أيضاً أحبك يا "إيزابيل"!

تبادلا القبلة مرة أخرى.

تحولت الأنظار نحو هذا الثنائي. وبدأت السيدات يبكين، جلس جنباً إلى جنب على الخشبة الصغيرة: لقد احتمت "إيزابيل" بين ذراعي "دانييل"، لاطف وجهها.

غمغمت:

- هذا ما كان لابد منه. أن توشك أن تفقدني، لكي تعترف لي بأنك تحبني؟

اعترض:

- كنت واثقاً بأني أحبك منذ لقائنا الأول. في "أفينيون"، لكن فجأة. بعد رحيلك إلى "مونتريال"، ظننت أني لن أراك بعد. وكدت أجن وقتئذ، ولم يعاودني الأمل إلا عندما عملت على مجيئي إلى هنا. وما زاد على ذلك فانت خير من تعلمه".

وعندما بدأت أشعة الشمس تنتشر على "شيكوتيمي".

كانت "إيزابيل" نائمة بين ذراعي "دانييل".

الآن ليس هناك من يحول دون إعلان خطبتهما. وارتباطهما مدى الحياة، وأن يعيشا في حب الواحد للآخر.

تمت بعون الله